عبد الله الشريفى

ثلاثية الأبعاد

رواية

صدرت الطبعة الأولى فى مارس 2019

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	ثلاثية الأبعاد
المؤلف	عبد الله الشريفى
التصنيف	رواية
رقم الإيداع القانونى	2019- 5347
رقم الإصدار الداخلى	361 الطبعة الأولى مارس 2019
عدد الصفحات	156 صفحة
المقاس	20X14
الغلاف والإخراج الفنى	مؤسسة النيل والفرات



... الجزء الأول

شجرة اللوز

...

ديباجة

لم يلِدِ الإسلام أفكاراً يكون في نشرِها : هدفاً .. يستحِق أن تُراق من أجلهِ الدِماء ! .. هذا هراء !!

في وديان " عين سفني " شرق الموصل ، يقع معبد (لالش) المقدس ، مقر سكن أبناء الطائفة الآيزيدية ، التي يُشاع عن أبناءها أنهُم يقتلون خصومهم سِرّاً وخنقاً ، لذآ سَماهم البعض (الخَناقون) ، لكنَّ هذآ الطرح ، بعيد كل البُعد عن الحقيقة ، وإنما أشيع ذلك : كونهم يمارسون طقوس عبادتهم في مكانٍ واحد ، وحيدين بعيداً عن عيون الناس .. ووسائل الاعلام .. أو وجودِ أحدٍ من أتباع الديانات الأخرى .. أي أن الآيزيدي يكتسب ديانته بالولادة ، كما أن الآيزيدية ، لا تمتلك كتاباً يجسد أحكامها وتأملاتها وأفكارها الميتازفيزيقية ...

...

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم
(وَنَفْس وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) صدق الله العظيم /
" سورة الشمس "

الجريمة الأولى التي إقترفها قابيل بحق أخيهِ هابيل ، تجسِد حقيقة صراع الخير والشر في طبيعة النفس البشرية ، وهو ما يوحي بأن الجريمة : ستظل قائِمة ما أن قام الإنسان وستلازمه مدى الدهر . إلا أن لكل جريمة ضرف ، ومكان ، وزمان معين ، ووسائِل مختلفة ما أن إختلف الزمان ..

كما أن الجريمة بحد ذاتها ، إلى جانب أنها أفرزت لنا قسوة الإنسان من جانب ، إلا أنها أفرزت لنا سموه وتضحيتهِ من جانبٍ آخر ، وهو الموقف الذي بدى عليهِ هابيل ، لأن قابيل حين أصر على قتل أخيه ، كان الأخير محط إيثارٍ وثبات ، حين فضل أن يكون مظلوماً على أن

يكون ظالماً ، وقد جاد بنفسهِ و (الجود بالنفس أقصى غاية الجود) يقول تعالى :

" وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ ... فَتُقُبِّلَ مِنْأَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ " صدق الله العظيم /

سورة المائدة

...

إليكم ...

إلى نادية مراد ورفيقاتها في الكرب الكبير ..

إلى جميع أخواتي الآيزيديات المسبيات والمغتصبات على يدِ أقذر جماعةٍ عرفها التاريخ البشري ، تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) .

إلى أبناء الطائِفة المنكوبة (الآيزيدية) ،

الإهداء والإعتذار .

إلى الذابين عن حِمى هذا الوطن الجريح ، لا سيما شهداء الجيش العراقي ، وشهداء جهاز مكافحة الإرهاب .

إلى الشهيدين علي وماهر ثويني الشريفي ..

إلى الراحل العقيد رافد محمد صبري الياسري .

إلى شيماء عاشور لطيف الجوراني زوجة وحبيبة وشريكة وكازنوفا ..

...

إشارة

ليس بالضرورة أن تكون نادية في هذهِ الرواية ، هي نادية مراد ، فكل آيزيدية في العراق ، هي نادية مراد ، كما أن حمزة هو النسخة طبق الأصل عن النسخة العربية التي تمثل الغيرة والحميةِ وعقد السلام مع الآخرين ، والتي لا يمثلها بأي شكلٍ من الأشكال .. شذاذ الآفاق .. غزاة الديار .. الفجار .. الأشرار .. من مغتصبي الأرض والعِرض .. من رجال تنظيم الدولة المجهولة (داعِش) . فالعروبة قيم وصفات ، وليست نسَب ، كما أن العرب هم حملت كتاب آخر الأنبياء ، وهو تشريف وتكليف إلاهي ، إن دل ، إنما يدل على كونِهِم أمة الخير والأمانه والعطاء ، والدعوة إلى تنظيم سُبل العيش البشري المشترك على هذهِ الأرض .

وكان ولا بد من خلال هذهِ الرواية أن نبين للعالم بأسرِه ، لا سيما النظراء في الخلق من أبناء هذهِ الطائِفة ، أن الإنسان العربي محل أمنٍ وأمان لشركائهِ في الوجود ، والأرض ، لما فيهِ من غيرة وحمية وخُلُق كريم ، عِبر الكثير من الأحداث التي جرت وتجري في العراق من تحرير السبيات الآيزيديات ورفع الظلم عنهن ، سواء عبر

القِوى الأمنية ، أو عبر محيط أرض سنجار من القبائل العربية الأصيلة ، وهذه الرواية ليست إلا القليل من الحوادث الواقعة والدالة على ذلك .
وهي وفيرة وكثيرة ، كيف وهم حماة الجار ، والذابين عن العِرض والكرامة ، ومن هذا المنطق هناك عودة عربية للسمو والتوحد والوقوف وقفة رجلٍ واحد تجاه هذهِ الهجمات التي تمس الأس والأصل العربي الحقيقي .
ولعل جنس الرواية الواقعية ، في خضم العودة لهذا النحو من التأصيل ، سِواء عبر هذهِ الرواية أو غيرها . من روايات الأدب العربي الواقعي الجميل .

...

كوتة

بعد قرونٍ من العراق ، وعقودٍ من الفِرمان ، وبعد 72 حملة إبادة مختلفة ، تسببت بها الحروب والمذابح التاريخية ، لا سيما في القرنين السادس والسابع عشر ، وما تعرضنا له من حملات إبادة جماعية على يدِ ولاةٍ ، وأمراء ، عرب وعثمانيين . قررنا نحن أبناء الطائِفة الآيزيدية الإنزواء عن هذا العالم ، وتقوقعنا إجتماعياً خوفاً من الغرباء ...

نادية

...

بِدءاً

أن يحبونك
يعني أن تحبهم ،
أن يكرهونك .
هذآ لا يعني
أن تكرههم .

سِنجار / غرب الموصل 1988 .

نادية ، الفتاة الأزيدية ، في الخامسة عشر من عمرها ، رشيقة الهيئة ، قوية البنية ، متوسطة الطول .. في خدها الأيسر شامة سوداء ، حنطاوية اللون وعيونها خضراء ، حادة الطبع كطبع الجبال ، إعتادت أن تشق طريقها بصمت ، وبثقة ، وكلما شقت سبيلها في الطريق ، لعنت الأيام التي أفقدتها أبيها في ضرف كم هي في حاجة إليه عندما كانت تبلغ من العمر عشرة سنين .

إمتهنت البحث عن (الأعشاب الطيبة) ، كما أحب أن يسميها القاطنون بين الجبال ، وهي مهنة تخص أمها التي بدى عليها التعب ليس لِكبرٍ في السن ، إنما لكبِر في الإرهاق والتعب النفسي .

صوت نادية الحنون بيث الأمل في عيون أطفال القرية ، فهي إعتادت أن تغني في طريق الخروج والدخول إلى القرية ، مضت سنين على مقتل أبيها على يد قوات الجيش العراقي ، الذي كان ولازال في صِدام متقطعٍ مع ما يسمى (العصاة) وهم المتمردين الأكراد على الدولة العراقية مذ تأسيسها ، لم يكن الأزيديون لينحون منحى العصاة ، فهم طائِفة تحِب السلام ، وتنأى بنفسها عن المشاكل ، في المحيط الذي تستقر فيه ، إلا أن تقوقعهم في المناطق المحاذية للأكراد ، وهرب الكثير من أبناءهم من الخدمة الإلزامية في الجيش العراقي ، هو الأمر الذي جعلهم في عرضة للتفتيش والمباغته في أي وقت . كما أن تداخل الأكراد معهم ، جعلهم أيضاً موقع شكٍ في مساعدة العصاة ومدهم بالمساعدة ، لذا فهم لم يكونوا بعيدين عن بطش الدولة آنذاك ..

...

ليس على هذهِ الأرض ما يستحق النِضال ، كانت الأعوام فيها غير عادية ، تمر دون أدنى إحساس بالتفاضل ، مزيج من الأحداث والتهورات ، تلتهِم خبزنا الجاف ، وقد حدث في قريتي : أن أشعلت الحرب العراقية الإيرانية ، الحِقد والعداوة ، بين السلطة والناس ، فالهروب من

الخدمة العسكرية ، كان شِعار الكثيرين مِمن لم يجدوا في آلة الحرب خيرٌ لهم .

الموت على أشدهِ ، والحرب لم تضع أوزارها منذ ثمانية سنين ، لقد أستشهد والدي ولم تعد لدينا القدرة على توفير لقمة العيش ، أحياناً نُجبر على الزحف إلى الجبال ، فقط للخلاص من عبث الجيش ، الذي يدخَل قرانا بحثاً عن هاربين ، أو عصاة ، الضروف التي حَفَت هذهِ السنين كانت شرِسه ، تزداد فيها دقات قلبي كل ما سمِعت فيها صوت إطلاق رصاص ، قادم من شغاف الجبال .

وأحياناً أخرى ، كان علينا أن نعيش الحدث ، حين كان الجيش يباغتنا ليلاً ، وكان الجنود يفتشون كل شيءٍ في بيوتنا ، يالهم من جنود ، وكم هي رائِحتهم نتنة ،

تقول أمي :

إن ذلك كان بسبب إنشغالهم بالحرب ، وعدم الحصول على فرصةِ إستراحة ، تمكِنهم من الإستحمام حتى ، فكانت تلك رائحة الجوارب ، والبساطيل ، التي لم تُغسل ربما منذ أكثر من شهر ، كانت تلك الأيام عصيبة ، كنت أرسم فيها على أوراقِ دفتري صوراً للموت ، كنت أرسم صورة جندي يصوب بندقيته على قلب طفلة ، وكان لأمي معرِفة بغزل الصوف ، إلا أنها كانت تكره صور الحرب

التي أفقدتها والدي ، فكانت تغزِلُ لي ورداً ، أزين بها جوانب المنزل .

البلاء أطبق على هذا البلد ، وهذا الشعب .

لقد خسرنا الكثير من شباب قريتنا ، إما عن طريق الموت في المعركة ، أو الموت في السجون ، أو على يدِ فرِق الإعدامات التي تقتل الهاربين من الخدمة العسكرية .

غرباء نحن في هذا الوطن ، تُسرق أحلامنا كما يسرق النهار ضوء القمر ، نقِفُ على مشارِف التيه ، أشياء كثيرة تغيرت ، بتغير السلطة ، حتى الناس تتلون بتلون الحكم ، لم تعُد الطيبة هي الطيبة نفسها ، لا سيما وأن البعض قد إتخذ من نفسهِ مصدراً سرياً للأمنِ والحكومة ، وهؤلاء شريحة تعيش بيننا ،!

دون أن نعرِف من هم .؟

وما هي مبادءهم .. وأهدافهم .؟

كُنا نتفاجئ بأن ما يدور بيننا من حديث ، كان قد وصل إلى السلطات ، بل أنهم يرصدون حركاتنا وهمساتنا ، وما يجول في خواطرنا .

النوارس أيضاً لم تعُد تدور حول قرانا كما تعودت أن تفعل ربما هي مرصودة أيضاً !!

تباً لكلِ من نام
على وسادة مصنوعة
من عمر حلم
على رصيف الفقراء .

ما أقسى هذا الكابوس الذي نعيشه .
لقد منحنا أنفسنا بالمجان ، قرابين لثلة من الحمقى والمتهورين . توددوا بنوايا مختبئة ، حتى تمكنوا وبعدها لم يمنحونا حتى فسحة إنتظار .
نحن محطة لملئ الفراغ ، إستنزفوا مشاعرنا بعد أن إستنزفوا دمنا ، أصبح الوقت بلا قيمة لفرطِ وقاحتهم .
كل يوم أكتشِف بأني مذنبة بحق قومٍ ، ومخطئة بحق قومٍ آخرين ، لقد خيب ظني الكثيرين مِمنً كنت أعتقد أنهم عندً حسن الظن .
مأواي الوحيد هو خطواتي التي تسير بي لا أعرِف :
أهي تسير بي إلى حتفي ، أم إلى الفرج الأخير ،
أتعَبت المسافات ،

ولم أصِل لِسقفِ طموحي ، العادات المحيطة بي مجرد تراث ، يظنون أنها تحمِل إنجازاً عظيماً ، رغم أنها لم تحمِل سِوى نسخة قديمة وفراغ ، مللت حكاية الطبقة الأدنى والطبقة الأعلى ، لم أجزع من كلمات أكثر من جزَعي من قولِهِم :

(الناس مقامات) (الناس مستويات) ،

رغم أن الناس سواسية ..

بنصِ كل الأديانِ ، والثقافات ..

الدراسة غير مجدية ،

إن لم توظِف معلوماتك ،

وتطرحها بشكل صحيح ..

قبل النوم .. تطبع أمي قبلاتها الحريرية على وجنتي ..

تحلم أن تزوجني من فارس من فرسان القرية .. او فرسان القرى الاخرى .

كنا أطفال سعداء قبل أن نكبر ،

ونعرف اننا محكومون بأعراف وسنن ..

ترجع الى زمان الآباء والاجداد ..

في الصباح عملي هو خض الحليب الذي تدره المعزة الوحيدة التي نملكها ..
بعد ذلك ، وبعد ترتيب فرش المنزل ، يمكن لي أن أخرج .. وأستمتع بالذهاب الى خارج حدود القرية .
لم يعد بإمكاني اللعب مع سوزدار .
لقد أصبحنا في سن يمنعنا من اللقاء ، والحديث والعزلة .. إلا ان تبادل الكلام في حدود وجود الجميع ، كان متيسراً نوعاً ما ..
يظن البعض اننا نُحب بعض .
واظن ان سوزدار يرى ذلك .!
في حين أنني أراه اخاً .. وجاراً .. وصديقاً موافياً وليس أكثر ..
أين رحلت الأماني والأحلام ، من أطفأ الحب وبريق البراءة في عيوننا نحن الأطفال ؟
إنه السن .. سن البلوغ .. سن الشعور بالمسؤولية .
سن الأوامر .. سن النواهي .. سن التفرقة بين الذكور والإناث ..
لماذا هذا الحزن الذي يطفو في أحداق سوزدار ؟
أيعقل أن يؤجل حقه في مكالمتي إلى أجلٍ غير مسمى ؟
سئمت البقاء في المنزل .. فاليوم غير الأمس .

الخروج من البيت له ساعات محدودة ، غير أن أمي تراعي الاعراف . وليس الحقيقة . والحقيقة أنها تريدني أن أعوض رحيل أبي بركوب الخيل وليس جر البغل .
كان البعض يرفض هذه الفكرة . الا أن أمي اقنعت الكثير بأن نادية ، غير كل البنات ، وأنها باتت تعتمد عليَ في الكثير من الأمور الذكورية ...
أريد أن أذهب إلى مكانٍ آمن .. لكن كل الفضاءات مكشوفة ..
وعيون الرجال تتابع كل شيء .. تمشي أمامي .. خلفي .. معاينة ..
مراقبة مستمرة .
في القرية .. العِرض واحد .. الشرف واحد ..
ما يمس الواحد . يمس الجميع . وما يكرِم الواحد يُكرِم الجميع أيضاً ..
نتكلم بلهجة واحدة .. بنفس واحد .. للجميع ما للجميع .
لا يمكن أن تمر إمرأة واحدة دون أن تثير كل هذه الضجة من العيون ..
مثلا : أن تجلس الفتاة أمام المنزل دون أن تستفزها نظرات مثبتة على جلوسها .

يسكن الغيظ كل خلجاتهم لو أنها كلمت الغريب ، او ردت عليه السلام ..
والرجال يمشون كالخيل ، تنفش ذيلها لو أنك وضعت يدك على رأسها ..
من نظراتك يعرفونك ، لو ابتسمت لهم ! ..
الابتسامة تعني أكثر من معنى .. كان هذا يقرفني .. يصيبني بالدوار ..
أهمس لنفسي ، وأعاتبها ، لو إبتسمت بفطرتها .
يا إلهي ! إني أختنق ! لماذا كل هذا القيود ؟
لماذا كل هذه الظنون .؟
لماذا قررت في آخر لحظة أن أخرج من المنزل .. فهو المكان الوحيد الآمن الذي أشعر فيه أني إنسانه فقط ، ولست حيواناً غريباً في يعيش في الوديان .
لكن المنزل يصبح كالقفص ، وأنا أشعر بنفسي حبيسة ..
أرتشف الحليب على مدار الساعات ..
سئمت الشاي الذي تعده أمي كل صباح .. وكل مساء .. سئمت المنزل .. سئمت صوت آلة الطمبور التي يعزف عليها بعض أهل القرية في كل يوم .. سئمت الاعراف التي حفظتها عن ظهر قلب .. سئمت الحروب التي لا تأتي بأي جديد ..
التفكر لحظات صفاء ..

لحظات حب مختزنة في أعماق كل إنسان ،
أعشق التفكر ..
لحظة محادثة مع النفس منتهية الصفاء .. تجعل الإنسان يحب الحياة ..
التمني زخم في الأعماق .. في أعماق النفس .. وفي أعماق التاريخ المتوهج ، المتجدد أبداً .. ببشرى الحياة .
التمني جلسة حميمية مع النفس ، تختزل الماضي والحاضر لكي لا ننسى .
نسامح .. ولا ننسى ..
نصنع من الكلمات منديلا نجفف به دمع الثكالى ، والمدماة قلوبهم على درب التضحية ، نصنع منها عقداً على خصر الغد المشرق ..
التمني يبعثر خلايا الذات ، ويجمع الأشلاء المتناثرة على عتبات الطفولة ، وعصيان الشباب .. " أنا متمردة " .
شيء جميل .. أن تتمرد على كل قبيح وتهوى الجمال .. الحب .. الحرية ..
يبحر الإنسان في فضاءات الممكن والمستحيل ، ليصنع منه نبضاً آخر للحياة .. حياة ملئها السلام .. الأمان .. الحرية ..
من قطرة عرق على جبين قروي يرعى الماعز ،
تُصنع الآمال .

حين تكون هناك فسحة أمل وإشراقة صبح ..
الحياة من حولي .
ليست هي حياتي التي أسعى لإستحصالها .
تلملمنا الرمال ، لتصنع من فراغنا كثباناً رملية .
تعتصرنا الايام .. ووحدتها الموحشة .. تمزجنا بعذابات من تحب أن تعذبه ، آلاف الأفكار تعبر عقلي كالشهب ويداي منشغلتان بطحن الشعير ..
أرغب في تطويع الأحرف المارة لتتحول إلى جُمار . كالتي تنصهر داخلي علها تطفئ ذلك الظمأ الأبدي .
لكنها تبقى صامتة وصعيقية ، تُسحق بضجيجي اليومي ..
في المساء .. حين ينام الجميع .. ويهدأ الكون .. أنعزل في المنزل .. أجلس عند النار الموقدة ..
أحلامي كلها معلقة ، مؤجلة ، مغلق عليها في مكانٍ لا نمتلك مفاتيحه .

...

حين تسافِرُ إلى ناحية سِنجار ، وتتجول بين جبالها ، تجذبك الكثير من الأشياء التي قد لا تصادِفها في مكانٍ آخر ، لا سيما في وادي كرسي ، والقرى المحيطة بتلك الجبال ، كقرية تل البنات ، ورغم أن الأبنية هناك بسيطة جداً ، إلا أنها ممتلِئة باللطفاء .

البحث عن الحياة هنا ليس متاحاً للجميع ، لا سيما وأننا طائِفة منغلِقة على نفسِها ، ولم تعتد على التواصل ، والإحتكاك مع من يختلفون عنا قومياً وعقائِدياً ...
أنا الإبنة الوحيدة لأم فقدت زوجها الذي إلتحق بالعصاة الأكراد ، وقد يكون هو الوحيد الذي لم تمنعه الثوابت الآيزيدية من مخالطة الغرباء ، والعمل معهم ، وهنا أود أن أشكر معلمي العم (آران) ، والذي منحني الكثير من الثقة ، وعلمني أحرفاً كثيرة ، ولم يبخل عليَ بأي معلومةٍ ، قد تكون لي سنداً في هذهِ الحياة المليئة بالصدف الغير متوقعة .!!

لست مترفاً ،
وقلمي ليس مأجور ،
أكتب إلى من إفترشوا الأرض
وحِلمهم مأسور .

أنا لست طالبة ، ولست متكلِمة بإسمِ أحد ، غير أن فِكرة الإنغلاق عن الجميع تبدو لي غريبة بعض الشيئ .. وإن كانت عقائدية .

وأنا في السنة الخامِسة عشر من العمر ، إكتسبت لغة مضافاً إلى لغتي الآيزيدية ، فاللغة العربية تمثل لي لغة الغالبية السكانية لبني جلدتي العراقيين ..

ورغم هذا ، كان من المستحيل عليَ ، وعلى غيري التعايش مع العرب من حولِنا ، لا أدري ... هل أنهم قومٌ بهذآ السوء الذي نشهده من خلال سلطة صارمة تمثلهم ، أم أنهم مثلنا .. والسلطة لا تمثل إلا نفسها !؟

أنا المريضة بالتفاصيل ، كل ما أحتاج إليهِ هو حياة بسيطة ، وحرية ورفاه ، الموسيقى مدهِشة .. والأهل ملاذ .. والأصدقاء هم خطوات الطريق .

الموسيقى لم تلوِث الحياة ،
لوثها أولئِك الذين صنفوا الناس ،
ويبحثون عن وهم
إسمه الحقيقة .

...

أدركت أن لاشيء يستحق العناء ، إلا . المسافة التي بيني وبين الآخرين ، وأيقنت أن مبادئ هذهِ القرى ، هي جرعة من المسكنات وحزمة من الظنون ، وليست الحقيقة التي أبحث عنها .

لو لم يكن هناك عبيداً ،

لما كانت هناك سادة !

لولا تقديس الملوك والإقطاع ،

لما كان هناك مسلات ..

وأحجار وأهرامات ،

لطالما كان العبيد وراء كل نهضة حضارية ،

لذآ .. هي لم تكن يوماً رموز فخرٍ وإعلام ،

إنما رموز تخلفٍ وإقطاع .

لا أحد يستطيع أن يثير هذا القدر من مخاوفي ، وبعبارة أكثر دِقة ، أنا مهووسة بالمعرِفة والتعارف ، ولدت من رحِم كلِمة (مرحباً) ، (أهلاً وسهلاً) ،

يحاصرني جيش من الأسئِلة .

من هؤلاء .؟

ومن أين هم .؟

ولِم هُم بعيدين عنا ، كان الشيئ الأكثر تعريفاً لي ، هو أنني أرافِق أمي في رحلاتِها للبحث عن أعشاب ، تعينها وتساعدها في عملية صنع دواء للناس ، وإنقاذ حياتهم ،

هي صنعة ورثتها عن أبيها ، وها هي اليوم حكيمة القرى كلها وليست قريتنا فحسب ...

حين نخرج إلى الجبال ، ونمر بقرى كثيرة ، كُنا نضطر للمرور أو المبيت أو طلب المساعدة من القرى الكردية ، كانوا يعاملوننا بحُسن ولم أره في وجه أحدٍ ريبة من كونِنا : (آيزيديين) ، بل أن أحياناً كثيرة كنا نلتقي فيها العرب لا سيما من قرى الموصل القريبة منا ، لم أجد في أولئِك الغرباء شيئاً أكرهه .

لا يوجد أحد يمكنني أن أشعر تجاهه بالخوف أو القلق ، كان الكبار منهم يمسحون على رأسي ويصفوني بالجميلة والطيبة ، وهما الصفتين اللتين تخصاني فعلاً ، الناس الوحيدين الذين كنت أكرههم فعلاً هم أفراد الجيش ، لأنهم يتعاملون معنا بخشونة ، ودون أدنى إحساس بالمسؤولية والشعور ...

أحياناً أخشى أني قد أصبحت منحرفة عن أفكار قريتي وطائفتي ، وأحياناً اخرى ، أشعر أنني مختلفة عنهم وليس أكثر ...

لا أدري قد يتعين عليَ ، أن أبث فيهم روح التعاون والتعايش مع الغرباء ، إلا أني لازلت فتاة وقد لا يستمع ليَ أحد ، لكوني لم أخض تجارب كثيرة في هذهِ الحياة . لكني ألمِح لهم كثيراً ، لا سيما بعد العودة من رحلاتي مع

أمي ، فكثيراً ما أريهم هدايا أعطاني إياها الغرباء ، ومع ذلك فهم ليسوا عِدائيين ، ولم يمنعوني يوماً من الحديث عن الغرباء أو شكرِهِم .

تصورات العيش تحملني من قرية إلى أخرى ، من فكرة إلى أخرى ، تبرير رغباتي هو من سيعوضني عن العمر ، وليس دفنها تحت التراب .

لقد نهضت مُعدمة من حاجز الجبال ، أنا كالسراب في شارع العطشى ، وأبدو كوجه صخرة .. كَتب عليها التائهين بين الجبال ..

بطبيعة الحال . أفكاري ليست رفض أو إعتراض على شيء عظيم ، فالعظمة ليست أكثر من خيال ، وتشخيص ، ينبؤونك في آخر العمر ، أنه لم يكن على نحو اليقين ..

دورك في هذهِ الحياة ،

هو أن تظهر بصورة تامة ،

دون تزييف ،

دون أقنِعة ..

العم آران ذات مساء قال لي : الغرباء هم الذئاب وليس البشر ، وكلنا من صلبِ آدم ، ولكنه ألحق كلامه بكلمات من الصعب أن أفهمها ، لقد قال :

الآدمية جملة إعتراضية غير مفيدة ، فكل إبن آدم خطآء ، والأخطاء هي سبب تُفرق بني آدم .

لقد أكل أبونا آدم التفاحة .. إلا أننا أكلنا بعضنا البعض .

وقد قال لي : إن أسوء أنواع العبادات هي :

عبادة الأشخاص .. عبادة التاريخ .

التاريخ وهم كبير ، فرَق الناس ، وجعلهم شيعاً ، وفرقاً متناحرة ومتآكلة .

وأن أفضل صورة يجب أن يكون عليها الإنسان ، هو أن يكون صادقاً ، ففي الصدق نور الوجوه .

عند البعض ،

لا شيء أكثر

تجديداً ومتعة ،

من مراقبة الناس . !

تنزل الفتاة الجميلة نادية ، من سفحِ جبلٍ ، تجر بغلاً بواسطة حبلٍ قصير ، يحمل أغراضاً على يمينه ، وعلى يساره .

الطريق مليئ بالأشجار ، ويرافق المسير صوت زقزقة عصفور ونعيق غراب .

ومع إقتراب الفتاة والبغل من شجرة .

ناديا تتكئ على جذع شجرة لوز كبيرة ، والبغل مربوط بها . وحمولة البغل على الأرض ، ثم تقوم بالعزف على آلة الطمبور القديمة ، التي يشتهر الكرد عموماً بالعزف عليها ..

تغفو عيناها ثم تصحوان ، على شعاعِ ضوءٍ لسيارة (واز) عسكرية ، قادمة من الأمام ، ينزل منها ثلاثة مسلحين يشهرون في وجهها السلاح .

- من أنت .؟

ولِم وجودك هنا ؟

- أنا من القرية القريبة من هنا .

مالذي تريدونه مني ؟

- ولِم أنت هنا !

- جلبت بعض الأعشاب لأمي من سفحِ جبلٍ قريب ، أرهقني المسير وأحببت أن أرتاح قليلاً .

قبل العودة إلى القرية .

- من أيِ قرية بالضبط أنتي ؟

- قرية تل بنات .

- نعم هي قرية قريبة من هنا ..

لكن مالحمولة التي على ظهر بغلك ؟

- هي أعشاب طبية .. عشبة : (الكمأ) وعشبة (القراص) وعشبة (الكعوب) وعشبة (الخباز) ..

تستخدمها أمي في معالجة الناس .

...

كان هناك جندي شاب إسمه حمزة ، يقف إلى جنب الضابِط ، وقد قال له :

سيدي أرجوك دعها وشأنها .. هي فتاة ..!

ولا يمكن أن تكون من عصاة الجبال ..

أو المتمردين على النظام .

وقد بادلته نادية نظرات الشكر والإمتنان على ذلك .

- لكنها جميلة يا حمزة .
- سيدي هي صغيرة ، أرجوك فالنتركها وشأنها .
- لك هذا يا حمزة .

سنتركك وشأنك ، لكن أريد أن أسألك .؟

- تفضل .
- ألا يوجد في قريتكم رجال .!

ليجلبوا الأعشاب ..

بدل من أن تخرج فتاة في سنك

في هذه الأرض الواسعة .

- فتياة الجبال ، كالرجال ..

تصيد وترعى وتقاتل أيضاً ..

- وهل أنت مقاتلة !؟

- أعرف القليل عن ضرب السلاح . لكني أحسن إستخدامه .

- وهل في قريتكم أسلحة ؟

- كانت في الماضي . ولكنكم صادرتموها .

- وهل مر العصاة على قريتكم قبل أيام .

- لا علاقة لنا بالعصاة . وهم لا يزوروننا ، ولا نعرف عنهم أي شيء ..

- فتاة ذكية .

وفعلاً أمر الضابط الجند بالتراجع وترك الفتاة وشأنها .

كان الجندي حمزة قد نظر لي أكثر من مرة ، نظرة ودٍ وعطف .. ربما هو أصغر جندي في الجيش العراقي ، كان يكبُرني بسنة أو ثلاث على الأكثر .

لقد عرفت من حمزة لا حقاً ، أن عمره هو ثمانية عشر سنة ، وأنه جديد العهد على الجيش ..

وقال أيضاً : أن الضابط ورفيقه سلمان ، وبخوه لطلبه تركي وشأني ، ولولا تدخله ، كانوا قد فكروا بأن يعتقلوني ويغتصبوني ، فهم لا يتوانون عن مثل هذهِ الأعمال الدنيئة ، مع فتاة يجدونها لوحدها بين الجبال ، والأمر الحسِن ، أن ليس كلهم كذلك ، ففيهم من أمثالِ حمزة ، غيور على أعراض الناس جميعاً .

النهاية جميلة جداً ،
وإن جاءت بعكس ما نشتهي .
الحقيقة أن لا صعب ،
أصعب من الإنتظار .

لقد إبتكرت البشرية الجيوش والسلاح .. ليس لشيء .. سِوى تعويض الشعور بالفراغ .. سرقوا أموالنا ومالنا .. وتركوا لنا ثواب الأجر والمشقة .!

البشرية عبثت بها الحروب ، وإن لم يجعلوها في حربٍ دائِمة مع السِلاح ، كانت في حرب مع داخلها .

تمضي الأوطان إلى حتفها بسبب نزوة حفنة من المتهورين والزعماء ، لم يتركوا لنا شيئاً سِوى ذكريات من نحِب ..

الدروب المليئة بالورود .. لا سيما تلك التي في ودياننا ، داستها السيارات الجيب والدبابة ، حتى الأشواك السامة لم تعد موجودة ، بالرغم أنها تساعد أمي في تصنيع بعض المستحضرات التي تنفع العلاج والتجميل .

كان الجميع بين يدي القائد الضرورة متاحين للتضحية والفداء ، ذلك الرجل الذي غلب غموضه على وضوحه ، وتفوقت كذباته على صدقه ، حاولت أن أقرأه في مشاهد

كثيرة ، لكني لم أستطِع ، فهو من جانِب يريد أن يحرِر فلسطين ، في حين أن أرضه قد إحتلها الجوع والمرض .
لست مهيئة للإستماع لحديثه عبر ذلك الراديو ، الذي أظهره لنا وكأنه :
لم يلِد ولم يولد ولم يكن له كفوً أحد .
بعض الأحيان يستخدم أهل القرية بطارية سيارة ، يُشغلون من خلالها التلفزيون فنجتمع حوله ، لنرى أخبار العالم من حولنا ، إلا أنهم يمِلون من إلتقاط التلفزيون لقناة واحدة وهي (تلفزيون العراق) ، الذي لا هم له ، سِوى نقل أخبار الحرب والقائد الضرورة ، الذي لم يمِل أو يكِل من إرتداء تلك البزة العسكرية الزيتونية ، لقد سألت العم آران وقلت : أيعقل أنه لازال يلبس تلك البدلة كل هذهِ السنين .؟
إبتسم وقال : هو رئيس جمهورية ، ويمتلك الكثير من البدلات . لكنها متشابهه .. !

...

تعود نادية أدراجها للقرية ، وتدخلها محدِثة الجميع عن ما جرى معها .
كان للجيش العراقي صولات وجولات في هذهِ القرى ، فكان يفتشها بين الحينِ والآخر ، بعثاً عن العصاة الكرد الذين يقطنون كهوف الجبال ، ويحصلون على قوت

يومهم من خلال التسوق خفية ، من القرى التي تمتد على طول جبال شمال العراق .

يلاحقونهم لممارسة حقهم في العيش والحرية ، الحياة أبسط من هذهِ العُقد ، التي تجبِرك أن تكون وطنياً من أجل وطن لم يعترف بأبسطِ حقوقِك ..

الخسارات التي تجعلك مواطناً ليست أرباح ، وإن كانت معنوية ، أو أخروية ، أو بمعنى آخر تحت عنوان الكرامة والصمود .

كصغار الطيور
في بركةِ ماء ،
كا ... نت أحلامنا .

- نادية يا إبنتي ...
ما كان يجب عليك أن تتوقفي عن المسير ،
قد يظن العسكر أنك في إنتظار العصاة ..
لتمويلهم بالزاد والسلاح .

- لقد تعبت من المسير ، وكما تعرفين أنا أحب المكوث عند شجرة اللوز تلك ، التي لطالما أحب أبي المكوث عندها .

- لقد كان أبيك من العصاة والمناضلين
من أجل التحرير ،
قُتل وهو يدافِع عن العقيدة وحرية الشعب الآيزيدي .
- لذلك أنا لا أكره العصاة الكرد ..
وحين أصادفهم أجيبهم عن كل سؤال يسألونه ، فهم أيضاً مناضلين ويدافعون عن وجوهم وكرامتهم .
- لكنهم يضلون غرباء ..
ونحن لا نأمن الغرباء .. كرداً كانوا أم عرباً .
- أكره كلمة غرباء .. ليس كل الغرباء غرباء ..
الغرباء هم أولئك الذين يدخلون بيتونا عنوة ..
ويعبثون بمحتوياتها .
- لقد كبِرت كثيراً ..
لكن حاولي أن لا تتدخلي بأمور العرف والعقيدة ،
أنت بذلك تعرضين نفسك للخطر يا بنتي .
- لقد سمِعت منك هذا الكلام أكثر
من مرة وبِت أحفظه .
يؤلمني أن الخوف على العقيدة بات أهم وأصدق من الخوف على الإنسان ، في حين أن العقيدة وجِدت من أجلِه .. !!
- من أين لك كل هذا .؟
أظن أن العم آران غير فيك الكثير .

- العم آران ..

بالطبع له الفضل على الكثير من أفكاري وأحلامي .

- هذهِ الأفكار جعلت من العم آران يشيخ

وهو صغير .

بت أخاف عليك يا صغيرتي .

- لا تخافي ..

أعرِف جميع المحرمات .. والممنوعات ..

ولن يتسنى لي الخروج عنها مهما كبر سني ..

أو كبِر عقلي .

- دعِ عنك هذا الحديث .

عُدي لنا عشاءاً طيباً .. لقد جعت .

- لحظات ...

وأعده يا أجمل أمهات الكون .

...

ثَمةُ خجلٍ شرقيْ ،
على وجه أمي ،
يشبِه لوحة
" الموناليزا "

الحديث مع أمي شيق جداً ، والجميل فيها أنها تثق بي ، ولن تمنعني يوماً من الذهاب لوحدي من أجل جلب الأعشاب ، لاسيما وأنها قد كبِرت وتعبت ، ولم تعد قادرة على السير الطويل وصعود الجبال .
إستمِد من أمي الحماسة والجدية ، هي نقطة ضعفي التي رسمتها على الطريق .

اللحظات لا تعود ،
كان علَي أن أذهب بعيداً ،
بعيداً عن كل شيء ،
حتى عن نفسي ..

لقد كانت نادية فتاة شجاعة ، وتكبُرُ سِنها بكثير ، وقد أفرحها أن والدتها اليوم قد أعدت علاجاً تنجي فيهِ (سوزدار) ، وهو الفتى الجار الذي طالما أحبها وأحب رفقتها ، وها هو اليوم قد تعافى من مرضهِ ، بسبب جلب

نادية لعشبة القراص التي طلبت منها والدتها أن تحضرها لعلاج سوزدار .
الحب أن ترسِم شخصاً في مخيلتك وليس أن تلتقيه ، اللقاء في حضرة المخيلة تكبُر فيهِ الحياة .
الكثير من الكلمات التي لم ننطقها تكتم أنفاسنا ، أحياناً الأزمة تعتبرُ إنتصار ، كونها تُجبرنا على إظهار كل الكلمات .. كل التخيلات .

الإنسان حاضِنة للشعور والأحاسيس ،
وليس دميه عليها أن تقول ما نُسِخ لها .

يبتلعنا الوقت ، كمخلفات تبتلعها حاوية النفايات .
مخطئ من قال أن الحب من أول نظرة ..
هو من أول فعل ..
الفِعل الرائع : هو من يدعونا لإلقاءِ نظرة حبٍ ، وليست العيون الملونة .
الحب وجع في القلب ، خيال في الرأس ، ألق في الروح ، حين أخلوا مع نفسي يجرحني السهر ، بمجرد إستحضار صورة لشخص ما .
الحبيب هو دائماً من يفتعِل المشاكل ، بينه وبين من يحِب .. ليس لشيء .. إلا للفت النظر ، وطمعاً بالمزيد من الحب والتقرب .. وإستشعار القيمة .

علينا أن نكون جميعاً حريصين في دراسة علم الإجتماع ، ليتسنى لنا : قراءة الأشياء ..
قبل قراءة الكلمات .
- لقد نجوت من المرض بفضلك يا نادية .
- الفضل للرب ..
وليس لي أيها الشقي .
- لقد إشتقت للعِب معك ..
ما رأيك أن نلعب معاً ؟
- لقد كبِرنا على اللعِب يا سوزدار ..
وأنا أفضل أن نذهب لنلتقي بالعم آران ،
لنستفيد من حكمهِ وقصصهِ الجميلة .
- إممم .. أنا غاضِب منك .
- لِم يا سوزدار ؟
- أنا إشتقت لك ..
وليس للعم آران .!
- ومع ذلك علينا أن نزوره الآن ،
وإلا فقد أذهب لوحدي .
- إذاً لنذهب إليه ..
لقد سألني عنك قبل ساعات .

تُرسَمُ لنا الحقيقة والتاريخ ،
لِنصدق بشكل غبي أن هناك شيء
يستحِق أن نتفرق من أجله .

لم يكمِلا نادية وسوزدار حديثهما ، حتى سمِعا صوت صياح الصبيا ، ورآ مشهد هروب للنسوة الكبار والشيوخ ، ودخولهم إلى البيوت ، كانت هناك سيارات عسكرية تدخل إلى القرية ، وقد نزل منها بعض الضباط والكثير من الجند ، وقد طولب الجند بتفتيش جميع بيوتات القرية .
يعود كلٌ من نادية وسوزدار إلى بيوتهم .
توغل الخوف في كلِ أجزاء القرية ، بتوغل الجيش ..
الصورة الرحِبة التي رسموها لنا عن الحُماة في الرأس سببت لنا صداع ، ولم نعُد نثق حتى في رؤوسِنا .
أوقح من قابلناهم في هذا العمر ، هُم أولئِك الذين يقتحمون البيوت دون إذنٍ مسبق ، يعبثون بالنظام المنزلي ، ويسألون عن أصحاب الصور ، أولئك ينتهكون أنقى المشاعِر رغماً عنا ، دائماً الأشياء التي تنتهك حريتنا ومشاعرنا ، هي الأشياء التي تعلق بالذاكرة ، لا

أظن أنني في يوم سأحترِم جندي ، ولو نزل عليَ مع فريق من ملائِكة السماء .

...

نادية تجلس في حجر والدتها ، لحظات ويدخل جنديان المنزل ، أحدهما حمزة الذي تبادل النظرات معها ، إلا أنه بدأ بالتفتيش ، خوف أن يحس بهِ رفيقه سلمان ، الذي فتش أحد الصناديق الحديدية ، وأخرج منها قطعة سلاح .!!

- إذاً أنتم من العصاة ..

أو ربما ممن يمدونهم بالعون والزاد والسلاح .

- أيها الجندي هذهِ البندقية ..

ذكرى لأبي وليست للحرب والعصيان وليست للقتال ...

أرجوك أتركها لنا ..

فنحن لا نستخدمها ..

وليس لنا علاقة بالعصاة ،

كل ما في الأمر أنها من ذكريات أبي ،

أرجوك أكتم أمرها .

كان المشهد قاسياً على حمزة ،

وهو بين المطرقة والسندان ..

بين أن يقف إلى جنب نادية ، وقد يكون وقوفه ذلك سبباً لهلاكه .

وبين أن يقف إلى جنب سلمان . ويدوس على مشاعره .!
إلا أنه وقف قبال رفيقه الجندي قائلاً :
- سلمان ...
بحق ما بيننا من عيش وملح ..
أن تترك لهم البندقية ،
ألم تسمع حديث الفتاة ،
هي مجرد ذكرى عن أبيها ،
فأنى لنا أن نقتل الذكريات .
- حمزة ..
إن في ذلك لمسؤولية قد تعرضنا للخطر أنا وأنت ،
أرجوك إنسى شأن هذهِ الفتاة .
- يا صديقي ..
إن سلمت البندقية للضباط ..
فلن يتوانوا عن إعتقال هذهِ المرأة وإبنتها ،
وقد يتعرضون لأبشع انواع التعذيب والنكال ،
ألا تفكر في آخرتك !؟
أليس لك أخت وأم تخاف على سترهن ؟
حمزة .. لقد وعدتني بأن تتغير وأنك ندمت على الكثير من الأفعال السيئة التي إرتكبتها أثناء فترة خدمتك في الجيش
- نعم ندمت كثيراً ..
وقد منحني الله معرفتك .

انت غيرت بيَ الكثير يا حمزة ..
ولكن يبقى الخوف من بطش
الجيش أهم من كل شيء .
- لم يرنا أحد ..
أم أنك تشك في أنني قد أوشي بك .
- لا لا لم أقصد هذا أبداً .
- إذاً فالنخرج وكأن شيء لم يكن يا صديقي ..
وأعلم أن ما تفعله اليوم ،
هو واجب مقدس لتأمين حياة بني جلدتك .
هؤلاء عراقيين مهما كانت قوميتهم أو ديانتهم .
يطئطئ سلمان برأسهِ خجِلاً ، ليتقدم نحوه حمزة ويقبل رأسه .
ثم يُرجِع حمزة البندقية لمكانها ، ويطلب من سلمان أن يغادروا المكان ، فتقف في قبال حمزة أم نادية ممتنه جداً
- أيها الشاب الجميل النقي ،
ليس لي إلا أن أدعوا الرب ،
بأن يحفظك وينجيك من كل سوء ..
أبلغ أمك السلام وقبِل لي بطنها التي ولدتك حراً ..
- لم أفعل إلا ما يؤمرني بهِ ضميري ..
كونا حذرتين ..

وأتمنى عليكن أن تخفيان هذهِ البندقية في مكانٍ آمن ، فهذهِ لن تكون المرة الأخيرة التي يفتش فيها الجيش قريتكم .

أستودعكم الله .

- **يحفظك طاووس ملك ..**

أيها الطيب النبيل .

يخرجان حمزة وسلمان ، ويخبران الضباط بأن : لا شيء في هذا المنزل ، تنتهي عملية تفتيش القرية ، ويعود أهل القرية ، كلٌ إلى عملهِ وحياته الطبيعية .

وفي السيارة الجيب يدور حديث بين حمزة وسلمان .

- **نظرتك لتلك الفتاة توحي بأنك أحببتها .!**
- **ربما يا سلمان ..**

هي فتاة شجاعة وتستحق الحب والتقدير .

- **لكنها يزيدية ...!!**

لا دينها ولا دينك يسمحان لكما بالإرتباط .

- **لا أعرف كل ما في الأمر أني منجذب إليها .**
- **إنه حبٌ ممنوع .. يا صديقي .**
- **الحُب أكبر من كل ممانعة .**
- **مجرد كلام ..**

الواقع أكبر من أن تستطيع تغييره .

- **آآه ..**

مالذي أصابني حين شاهدت هذهِ الفتاة .
لقد إستولت على داخلي .
- حاول نسيانها . بأي وسيلة .
تزوج حين تعود إلى الديار .
- ههههه أتزوج . وأنا في الجيش العراقي .
أترك زوجتي سبعة وعشرون يوماً !
وأخلد عندها ثلاثة أيام .!!

...

الشعور بحمزة يستحق أكثر من الشعور . الحُب والعطاء ينضحانِ من قلبِ هذا العربي ..!
كان لذلِك الفعل الجميل ، ردة فعلٍ على محيا أهل القرية جميعاً ، وهم يسمعون القِصة من سرد نادية وأمها . وقد قال العم آران :

- الأديان نفسها التي تجمعنا كرداً وعرباً وآيزيديين ،
تدعوا للسلام .. تمنحنا الصدق إن كنا صادقين .
تمنحنا الطمئنينة .. إن كنا بها مؤمنين .
- عم آران ..
لعلي بذلك الشاب يمثل الوجه الأمثل لمن نختلف معهم في الدينِ والعقيدة .

- إعلمي يا نادية ...

أن تغربنا وإنزواءنا عن من يختلفون معنا في الرؤى ، ليس تعنصراُ منا .. أو لعدم قبول الآخر ..

غير أن الطغاة والظلمة .. والمدعين هُم سبب فرقتنا وتشضينا نحن اتباع الأديان المختلفة ..

لقد تعرضت طائفتنا الآيزيدية ، للكثير من التنكيل إبان حكم الكثير من المتشددين ، والذين لم يحكموا بما تملي عليهم أديانهم .. بل بما تملي عليهم أهواءهم ، ونزواتهم .. لا سيما في قرون السادس والسابع والتاسع عشر ، وقد أباح قتلنا السمر قندي ..

والمسعودي والعمادي وعبدالله الربتكي ..

وكثيرون من الولاة والخلفاء والعلماء ، الذين ظنوا بأننا نعبد الشيطان على حدِ قولهم ، لقد كان دمنا وتجارتنا وأرضنا مستباحة ، ولم يكن لنا ناصراً سِوى سفوح الجبال ، التي كنا نأوي إليها مع إنطلاق حملات القتل والتنكيل ضدنا ، عددنا القليل .. وإنزواءنا عن هذا العالم ، جعل منا لقمه سائغة بيد من لا يعرفون الله ، ولا يمتلكون ضميراً وذرة إنسانية ، لكننا ومهما إختلفنا مع الناس لا نكره أحداً .

بل أننا ندعوا ربنا أن ينجي الناس جميعاً من كل مكروه ،

ولطالما كنا للغريب وعابر السبيل عيناً ساهرة ، وأصحاب كرم ، ومساعدين لمن هم في ضيق أو شدة ما ..
وهو أمر معروف لدى الجميع ..
- صدقت يا عم آران ..
وانا لا اكره من يختلفون معنا في العقيدة ،
بل ان فعل هذا الشاب العربي المسلِم كان فعلاً رائِعاً ، يوحي بالإيمان الحقيقي بالله .
- أتفق معك في هذا ..
هو إنسان طيب وقريب إلى القلب مهما كان معتقده ،
وكأنه واحد منا ، هو ليس غريب أبداً ...
- عم آران ..
أحب فيك صدقك وجرئتك ..
وعدم تفرقتك بين الناس .
- لقد أكتسبت ذلك عن تجربة وليس عن فراغ .
الكثير من الغرباء طيبين وليس كما يعتقد بعضنا .
العرب : قوم لهم تاريخ وأعراف رائعة ، لا سيما في حماية الدخيل ، وكرم الضيافة ، أحزن كثيراً أن هناك من يسيئ للتاريخ العربي ، عبر تصرفات مشبوهه لا تمت للخلق والتراث العربي بصلة .
العرب فيهم الكثير من الصفات النبيلة .. بدون شك ..
- لقد سمعت أن تاريخهم كان دموياً ؟

- ربما للصحراء الأثر الكبير على ذلك ... إلا أن الصحراء أيضاً منحتهم الكثير من المزايا التي تميزهم عن الآخرين .

- مثل ماذآ ..؟

- صلة الرحم والرافة بالصغير .. وإحترام الكبير .. وإكرام الغريب .. وعابر السبيل .. هي من أهم صفاتهم ، بل أنهم لا يسألون الضيف عن حاجته لثلاثة أيام الضيافة ، وهو شيء جميل .

العرب أمة الرحمة بالصغير .. والعطف على الكبير ..

وهم من أكثر الأمم التي تحافظ على التراث والتاريخ ..

عُرِفوا بالنخوة والغيرة .. والشرف والكرامة ..

لكن للأسف أن جور الزمان ، وتنوع الثقافات التي أدخلت عليهم ، من بلاد فارس والعثمانيين ، غيرت فيهم الكثير من تلك الأسس التي نشؤوا وترعرعوا عليها .

وفي كل الأحوال يبقى العرب أمة واحدة .. من نسل واحد . وتجمعة عقيدة واحدة .. هي الإسلام .

...

إنتبهوا جيداً ،
لِمن صنف مجتمعاتِكم
وهو في الشارع ،
وليس من وصفها
وهو في البلاط !!

كان حمزة سائِق سيارة عسكرية ، في وحدة لا تبعد كثيراً عن قرية تل البنات ، وقد إنجذب كثيراً لسحر عيون تلك الفتاة ، نادية .. التي أيضاً لا تعرِف سِر تعلقها بهذآ الشاب ، لا سيما بعد موقفهِ النبيل مع عائلتها .

حمزة الذي يبدو غارقاً بالتفكير في نادية ، يستغِل فترات إستراحتهِ بالمكوث عند شجرة اللوز ، تلك التي منحته فرصة اللقاء بمن أحب ، واليوم تشأ الصدفة أن تجمعهما عند الشجرة .

فنادية التي مازالت تحتفِظ ببزة أبيها العسكرية ، مع قطعةِ سلاحهِ تلك التي كادت أن تسلبها حياتها لولا تدخل حمزة ، تاتي في نيةِ دفنها وكانت الصدفة الأجمل ، أنها تلتقي بحمزة عند شجرة اللوز التي جاءت لتدفن ذكرياتها عندها ..

- مالذي جاء بِك هنا مرة أخرى !
ألا تخافين من بطش العسكر ؟
- ليس كل العسكر عابثين ..
لا سيما أنت وقلبك الرقيق .
- هل جئت لجلب الأعشاب مرة أخرى ؟
- بل جئت أحمِل شوقاً لرؤيتك !
لا أعرِف لماذآ .
- وقد جئت لذات الشعور .
- لا تفهم من كلامي أمراً آخر ، كل ما في الأمر أن فعلك الرائع جذبني .
- لا أريد أن افهم أي شيئ غير أني إشتقت لرؤيتك .
- أيها الطيب ...
ليس علينا أن نشتاق كثيراً لبعض ، أنت مسلم وأنا آيزيدية ،
وهذآ يكفي بأن نكون أبعد ما يكون عن بعض ، أكثر مما قد نتصور .
- مهما إبتعدت الإجساد ... الأرواح لن تبتعِد .
- أكل هذا من أجلي . ؟
- وأكثر من ذلِك ..
لم يعُد بالإمكان الإبتعاد عنك ، والتفكير بشيء

آخر غيرك أنت .
- ويلي ..
وكلما حاولت أن اخفيك سري ، لم أستطِع ،
لا ينبغي لي أن أعشق غريباً .
- ليس للعشق مكان أو زمان أو طائفة ..
للعشقِ قلوب تألف بعضها ،
بغير صدفة أو ميعاد .
- ما أجمل حديثك ...
وما أجمل صدقك أيها الغريب .
عموماً لقد جئت لأدفن قطعة السلاح تِلك الخاصة
بأبي وبزته العسكرية .. ليتك تشاركني في ذلك ؟
يبدءان بالحفر والدفن (حمزة ونادية) تناضره ، ويناضرها ، فرحين بلقاء جمع قلبيهما ، فكان في ذلك اللقاء ، كل الودِ والرحمة ..
- لقد أتعبتك معي .
- تعبك راحة كما يقال .
لو أنك تأمريني بالموت ما حِدت عن ذلك .
- لا تقل هذا مرة أخرى ، أكره الحديث عن الموت .
لا سيما مع من أحب .
- فدتك نفسي ..
يا أجمل من رأيت .

- فدتك روحي ..

يا صاحب الفعل الرائع .

يتقدم حمزة نحو نادية ،

لترتمي على صدرهِ حزينة مدمِعة .

لا يوجد حق أهم من حق الحياة ،

مهما كان المعيار وطنياً أم عقائدي ..

- لقد أخطأنا الطريق ..

ما كان يجب أن أرآك .. وأن أعرفك .

- نحن في طريق النور ..

لِم نقبلُ غير النور طريقاً ؟

- ذلك النور الذي تتحدث عنه ،

هو نقطة ضوء في آخر النفق ،

إلا أن النفق تسكنه الوحوش والأفاعي القاتلة .

- ومن الحب ما قتل ...

وما أجمل الموت من أجل نقطة نورك .

- إستولى عليَ حُبك ..

لم أعُد أشعر بالخوف .

- تباً لكل من أقحم القلوب في مطبات العقيدة والطائفة .

- القلوب هي الطوائِف ..

وبقية المعتقدات مجرد عبئ ثقيل علينا .

- لعلنا نهرب من هزائمنا اليومية ،
إلى هزيمة أخرى .
- لا حاجة لي بمناقشة ما يؤمنوا بهِ الآخرين ،
كل حاجتي بك .
- ألم يكن من الاجدى أن نبقى هنا إلى الأبد ،
أليس في وِسع كل من حولنا تركنا وشأننا ،
نقِف على حافة العمر .. يمنعنا التحرش
والقوانين من لحظة عناق ..
ضاقت بِك الأرض ،
ولم تضق بِك المشاعِر .
- لقد تأخر الوقت ..
عليَ أن أعود أدراجي .. يا حمزة .
- هل نلتقي ثانية ..؟
أم أنك حكمت عليَ بالموت قهراً .
- وكيف لي أن أقتل نفسي التي بين جنبي ..
وأنت نفسي ..
- إذآ فالنلتقي كل يوم جمعة عند هذهِ الشجرة .
- لك ذلك ..
.. على أن نكون حذرين من أن يرانا احدهم .

الوحدة حقيبة حنين ،
وحدها من ستسافر معك ،
وأنت تحمِل جرح لن يلتئم
إلا بكتابة قصيدة .

فضح سري مكنوني الدفين ، أربكني تقهقر رجل يستحيل طرده من ذهني ، صار بيني وبينه عهد ، والعهود لا تخون ، فتاة مثلي يمنعها العرف والدين ، من مخالطة الغرباء ، كيف لها أن تقع في حبِ غريبٍ ، تعشقه ، تتنفسه .

ربما أنا بحاجة للحظات إستراحة عفوية .. للتفكير .. للذكرى ..

لإعادة الحسابات مع نفسي ، وهواي ، كان للصمت وجهٌ آخر على محياي ، الجميع يسأل ويتسائل ..؟ مالذي حال بينها وبين اللعبِ والإبتسامة ، وكأن الحب أحالني على التقاعد .

الأساطير تنسج من حولي ، أسمعهم يقولون أن الزواج لغير الأزيدي والأزيدية من مِلة أخرى أمرٌ مُحرم ، ومُجرم ، تلك السرديات تخيفني كثيراً ، ترعبني وتجتث أحاسيسي ومشاعري .

لقد تكرر اللقاء ، وتجدد الحب عند تلك الشجرة ،
(شجرة اللوز)
التي تحمِل ذكريات أبي وذكرى الغريب .

الحب عنصر فطري
من عناصر الوجود
التي لا غنى عنها ،
نحن مدينون كثيراً للحب .
مدينون أكثر مما قد نعتقد .

- لِم لم تأتي الجمعة الفائتة ..
ألا تعلمي أني إشتقت لك يا سويداء
القلب ، يا فلذة فؤادي الحزين .
- كنت أتنسمك ..
وأشم ريحك قادمة هناك من .. إلا أن أمي
كانت على مرض ، وفضلت البقاء عندها .
- سلمها الله ، ما بها ؟
وكيف هي الآن ؟
- هي بخير ..
لا تخف .. كانت مجرد حمى وليس أكثر .
- ما بِك .! أنت اليوم غير كل يوم .
- الخوف من المستقبل ، يجثو على أنفاسي .

- نادية ..
عدت من الإجازة قبل يومين ، وقد حدثت أبي
وأمي وإخوتي عنك ؟
- وماذآ قلت لهم ؟
- قلت كل شيء ..
عن حبك وعن نيتي الزواج بِك ؟
- وبماذآ أجابوك ؟
- قالوا إن فعلتها ..
فنحن نبرء منك أمام الله ،
وإياك أن تعود لنا أو تتذكر أننا أهلٌ لك !
كل ما يعرفونه عن الآيزيدية ،
أنهم عبدة الشيطان .. فهل أنتم كذلك ؟
- ولو كنا كذلك فعلاً !
هل ستتغير مشاعرك ؟
- بالتأكيد لا ..
ولن تمنعني عبادتك لأي شيء ،
عن حبك .. وطلب الزواج منك .
لو كنت في الجنة ، وخُيرت بين حياة الخلود أو العودة إلى الأرض ، كي أكون بين يدي حبيبتي .. لأخترت العودة ، فالسعادة ليس أن تملك جمهوراً من حور العين ، بل أن يملكك قلب إمرأة ..

- حمزة ..

نحن طائفة تعتقد أن الله خلق من نورهِ سبعة ملائكة ، أوكل لها مهمة حكم الكون ..

وهم عزازيل (طاووس ملك) ودردائيل (شيخ سن) وإسرافيل (شيخ شمش) وميكائيل (شييخ ابوبكر) وعزرائيل (سجادين) وشمنائيل (شيخ ناسر دين) ونورائيل (شيخ فخر دين) وكبير هؤلاء السبعة هو طاووس ملك .

لم تعد الثقافة طوق نجاة ،
حتى صُناع الكتب
لم تهذبهم الصفحات .

تذكر الميثولوجيا الإيزيدية ، أن الله قد أمر كل الملائكة بأن يسجدوا لآدم .. وكان القصد من وراء ذلك هو اختبار الملائكة ، فقد كان الله قد أخذ عهداً من الملائكة السبعة بأن لا يسجدوا لغيره .. فسجدوا كلهم إلا طاووس ملك .. أبى ولم يسجد ..

وعندما سأله الله لماذا لم تكن من الساجدين ؟

قال : عندما خلقتنا أمرتنا يا ربنا أن لا نسجد إلا لك ..



وأنا لم ولن أسجد لغير وجهك الكريم يا رب .
هنا فاز طاووس ملك بالامتحان .. وقد كافئه الله بجعله أقرب المخلوقات إليه وأناط به حكم الكون .
هذه القصة شبيهة جداً بتلك الواردة في قصص الخلق الكتابية :
الإسلامية والمسيحية واليهودية ، لذا فقد تم تعريف طاووس ملك من قبل غير الإيزيدية على أنه الشيطان نفسه ، ومن هذا الأساس تم وصفهم بعبدة الشيطان ..
يرفض الإيزيدية هذا الوصف .. حيث أنهم لا يؤمنون بوجود كائن شرير مثل الشيطان ، يعمل على توريط البشر وإغواءهم ، وإنما يعتقدون أن الشر نابع من الإنسان نفسه .
وأن طاووس ملك ، هو ملاكٌ قد خُلق من نور الله ، لذا فهو كائن خير ..
وأي تشبيهٍ له مع الشيطان الوارد في الديانات الأخرى هو إهانةٌ لمقدساتنا .
في البداية . وقبل خلق السماء والارض كان الله " فوق البحار" وكانت هناك لؤلؤة بيضاء ، رمى الله اللؤلؤ في البحر فانكسرت ، فتشظت منها الأرض والسماء والنجوم .

خلق الله بعد ذلك طاووس ملك ، الذي تجسدت فيه قوة وحكمة الإله وجعله قادراً على معرفة رغبات وإرادة الله وتنفيذها .
وأناط به مهمة إكمال بناء الكون .
ثم خلق بعد ذلك ستة ملائكة لتساعده في ذلك .
بدأت الأرض تهتز بطريقة عنيفة ، فأرسل الله طاووس ملك لوقف هذا الاهتزاز .
متخذاً شكل طاووس عظيم ذو سبع ألوان أساسية ، وثانوية .
ووهب هذه الألوان للأرض بنباتها وحيواناتها مكسباً إياهم الجمال . صعد بعد ذلك طاووس ملك إلى جنة عدن ، حيث التقى هناك بآدم .
كان آدم في ذلك الوقت جسدا بلا روح .. ففجر طاووس ملك نفس الحياة فيه .
ثم أدار آدم نحو الشمس .
وقال له : أن هناك من خلق هذا ، وأن هناك شيء أكبر من الإنسان والشمس ، تجب عبادته .
وعلمه الدعاء إلى الله بـ 72 لغة ، وهذه اللغات هي ستتحول إلى لغات البشرية الاولى .

ثم تم خلق حواء ، لكن قبل أن يتزوجا ، حدثت منافسة بينهم في من هو الذي يستطيع أن يؤتي لوحده نسلا أفضل من الاخر .

فخزن آدم نسله في جرة مغلقة وفعلت حواء كذلك .

بعد 9 أشهر فتحا جرتيهما فوجدت حواء أن جرتها قد امتلئت بالحشرات ،!

بينما أنتجت جرة آدم طفلاً وطفلة .

كُبر هذان الطفلان فيما بعد ، وتزوجا وهما يمثلان الأبوين الأولين للإيزيدية ، وهكذا ..

فإن اليزيديين يعتبرون أنفسهم من نسل آدم ولكن ليس من نسل حواء ..

يعتقد الإيزديون أن الله موجودٌ في كل شيءٍ ، وهو الأساس ، والمخلوقات أجزاءٌ من الروح العليا ، والجزء تابعٌ للكل ؛ لذا فإن تقديسهم للظواهر الكونية ، كالشمس والنور والقمر .. مبنيٌّ على فكرة كون هذه الظواهر جزءٌ من الذات الإلهية وتجسيداً لقدرته الخارقة .

...

تنتصِر الأمم ولا تُعد منهزِمة
فقط حين تشعر بقيمة الإنسان بداخلِها ،
مررت بقراءاتي على الكثير من أدعية الديانات
فلم أجد دعاءاً أنبل من دعاء أبناء الطائفية الآيزيدية
وهم يقدمون على أنفسِهِم الدعاء للآخرين :
(يا إلهي صن برعايتك كل الملل والمخلوقات
وأحفظهم ثم إحفظنا)

الإيزديون لا يعتقدون بوجود الأرواح الشريرة والعفاريت والشياطين والأبالسة ، لأنهم يعتقدون أن الإقرار بوجود قوىً أخرى تُسيّر الإنسان ، يعني الثانوية وتبريرٌ لما يقوم به البشر من أفعال .
لذا فإن الإنسان في العقيدة الإيزيدية يمثل المسؤول عما يفعله ، وليس الجن أو الأرواح الشريرة ، وأن الله هو كله خير .. أما الشر ، فيأتي أيضاً من بابه نتيجةٌ لأفعال البشر ، لذا الصراع بين الخير والشر ، هو في الأساس صراعٌ بين النفس والعقل ، فإذا انتصر العقل على النفس نال الإنسان خيراً ..
القوة التي يتمتع بها الشيطان كما تسمونه مبالغ فيها عندكم ، بحيث أنكم تصورونه للناس وكأنه سيلقي بهم في أحضان فتيات الليل متى شاء .!!

أما الصلاة ، يصلي الآيزيديون خمس مرات في اليوم ، والصلوات هن صلاة الفجر ، صلاة الشروق ، صلاة الظهر ، صلاة العصر ، صلاة الغروب ، يواجه المصلون الشمس في كل الأوقات ، سِوى وقت الظهر فهم يتوجهون إلى (لالش) .

...

يصوم الإيزيديون في السنة أكثر من مرة ، والإيزيدي مدعوٌ للصيام طول السنة ، فهو يمكن أن يصوم متى ما شاء ، وهذا الصيام يكون خاصاً يرتبط برغبة الشخص ، ولكن هناك صومٌ عامٌ يسمى صوم (ئيزي) أي (صيام الله) لمدة ثلاثة أيام ، يصادف غالبا شهر كانون الأول الميلادي ، لأن الايزديين يتبعون التقويم الشرقي القديم (الكريكوري) .

وفي هذه الأيام الثلاثة ، يصوم الإيزدي عن كل ملذات الدنيا ، وفي اليوم الرابع بعد الصيام يصادف العيد المسمى (روزينت ئيزي) .

وهناك فترة صيامٍ تكون واجبةٌ على رجال الدين خاصةً ، حيث تكون مدته ثٍمانون يوماً ، يصوم كل واحد منهم طول أربعانية الصيف ، وأربعانية الشتاء أيضاً صوماً تاماً .

أما القبلة لدى الإيزديين هي الشمس ، باعتبارها أعظم ما خلقه الله ، حيث يتوجه الإيزيدي أو الإيزيدية نحو الشمس

، التي تأخذ شكل الدعاء والمصلي عليه الاغتسال أولاً ، ومن ثم الوقوف بخشوعٍ ، رافعاً يديه إلى السماء ، وهو حافي القدمين ، وهذا يتكرر في اليوم ثلاثة مراتٍ عند الشروق ، وعند الغروب ، وكذلك في الليل قبل النوم ، وتُتلى في كل مرةٍ تراتيلٌ وأدعيةٌ خاصةٌ ، تتميز بأسلوب أدبي ولغوي قوي جداً أشبه بالشعر الموزون والمقفى .
هل تريد أن تعرِف أكثر من ذلِك ؟

لن تنقذ العالم
من مأزق الحروب والمصلحة ،
ولن تنقذ نفسك أيضاً ..
كلنا سفلة .

- جميل ما طرحته نادية ..
الحديث عن الوجود فوق كلِ مستوى ،
لذآ لم تأتي فكرة العدم من فراغ .. إنما جاءت
لتخفيف حِدة التوتر الفكري الناتج عن هذآ النوع من التفكير ، بطبيعة الحال .. لا بد للطبيعة البشرية من ظهور ، لا بد من منافس .. من نظير .. لا بد من نقيض .

والحقيقة التي لن يصادق عليها أحد ، هي أن لا أحد مع العدم ، وإن كل الذين كانوا إلى جانبه .. كانوا منافسين وليسوا مؤمنين ، لأسبابٍ عدة باطنها نفسي ، وظاهرها تخوفاً من الكهنوت الذي كان أحد إفرازات فِكرة الوجود .

- ما أعتقده هو أن العدمي يبحث عن العدل ،
أكثر مما يبحث عن الحقيقة ..
رغم أن الحقيقة والعدل حالة واحدة .
إلا أن الكهنوت جعلهما تختلفان بحسب ما يراه من مصلحة .
فلم تكونا في واقعهِ قيماً متساوية ، لذلك كل ما جيء بهِ ،
كان في عيون العدميين كذبات مخدرة ،
من علمك كل ذلك يا نادية ؟

- العم آران ..
المدرسة التي حُرِمنا من دخولها ، عوضها الله لنا بوجود العم آران .. هو علمنا كل شيء عن ديننا وثقافتنا .

- وهل هو من علمك النطق بالعربية ؟

- نعم لقد علمنا جميعاً ..
من أجل أن نستطيع التعايش مع محيطنا العربي ،
لا سيما بني جلدتنا وشركاءنا في الوطن .. العرب .

- أنتم رائعون فعلاً يا نادية ..
ليس هناك فرق بين دين ودينٍ آخر ،

هي سوء أفهام ..
إلا أن الجميع يؤمن بان هناك خالق واحد هو الله ،
لا يمكن تشبيهه بأي شيء .

عمق مشكلتنا أننا نلجأ إلى الله بالفقه ، وليس بالضمير ، في حين أن الضمير هو ملخص أصل الفطرة التي فطرنا عليها الله ، بينما الفقه هو كلام كثير ورد في كتب ، قيل أنها تنقل كلام الله بلسان مؤيديه !

لأجلِ فلسفة الأصح ، علينا أن ندخل في أزقة الصح ، ونستمد فقهنا من إبتسامة الاطفال ، لا سيما وإن كان في فقهنا نظرية وتجربة كما هو الحال في أول إعلان للجهاد في الإسلام .

لاحظي أن الذين آمنوا بمحمد وظلموا وإضطهدوا وضربوا وعذبوا في سبيل الدعوة ، لم يأذن الله لهم بالجهاد ، حتى أخرجوا من ديارهم ، فكانت فلسفة جهادهم وطنية ، وليست دينية ، من اجل العودة إلى الارض ، وليس الذهاب إلى السماء .

بنص (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) لحقها (بالذين) وهو الإسم الموصول ، (الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق) .

هنا كان الله وطنياً .. وليس دينياً .. وبعبارة أصح أن الجهاد في الإسلام ، هو إعلان عن الدفاع عن المصلحة الخاصة بالإنسان ، وليس من أجل الدفاع عن (الله) أي أن الحق الشخصي للفرد .. هو اولى عند الله .. من كل مقدس ورقي .. أو حجري .. وأن كل ما ورد في القرآن من آيات الدعوة إلى الجهاد (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر قاتلوا الذين كفروا) (قاتلوا المشركين) ليس فيهِا مأذونية في الجهاد الحربي ، والدليل : أن الحرب الاولى في الإسلام التي أمر فيها الرسول بقتال قريش كانت فيها مأذونية في القتال بتصريح (أذِن) ولم يقل قاتلوا .. !

أما ورود (قاتلوا) في آياتٍ أخرى ، فتخضح للتفسير بدراسة الباطن والظاهر ، للآية ، ولو بحثنا بحثاً مجرداً في معاجم اللغة العربية عن تفسير معنى كلمة قتل لوجدناها بمعنى قتل الشي .. بمعنى إزالته ..

وليس بالضرورة أن تكون الإزالة إخفاءاً ، أي موتاً كما أنها وردت بدفع ضرر الشيء .

فقط في قتل المحارب يكون القتل نزعاً للروح بمعنى قتل الروح بسلبها ، فهناك قتل للوقت وقتل للحزن .

وللتوضيح أكثر فإن في قوله : (قاتلوا الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) أن تكون طبيعة القتال بالمثل (فاعتدوا عليه

بمثل ما اعتدى عليكم) ودون زيادة ، أي : قاتل سياسياً .. من يقاتلك سياسياً ..

قاتل إقتصادياً من قاتلك إقتصادياً ..

(ولا تعتدوا) هنا .. أي لا يكون القتال بخلاف القتال الذي قوتلتم به .

- كلامك رائع ..

لست هيناً .. من علمك كل هذآ .

- الوجدان وليس القراءة ..

صدقيني .

- أصدقك دائماً وأبداً .

- كم أكره الحروب والعداوة .. كم أكره أن أكون طرفاً في ذلك .

- أنت لست قاضياً وليست مهنتك أن تحكم بالبراءة أو الإ دانة ، يمكنك أن تقف على التل وتنظر إليهم من بعيد ، حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود .

- جميل جداُ يا عزيزتي .

- الآن عليَ أن أسألك ..

لِم أنت في الجيش وليس في المدرسة ؟

- أنا من ريفِ بغداد ..

وأضطررت للعمل في بستان والدي لكوني أصغر إخوتي سِناً ، فهم تمكنوا من إكمال دراستهم ،

فأحدهم مهندس ، والثاني بكالوريوس تربية ،
وهو مدرس للغة العربية الآن .
- عموماً يا حمزة ..
أهلك أولى بِك .. عليك أن تنساني ..
فلم يعُد هناك أي أملٍ يجمعنا .
- إياك أن تعيدي هذآ الكلام ،
لو تبرء مني الكون كله ،
ما تنازلت عن حبك نادية .
- لن ينفعنا العناد يا حمزة ..
وإن وافق أهلك .. فأهلي لن ولم يوافقوا ،
بل أنهم قد يقتلوني لو علِموا بحبي لك .
- إذاً أترك أهلي ، وتتركين أهلك ..
ونهرب معاً .
- لا يا حمزة ..
أنا وحيدة أمي ..
من لها غيري .. ومن يبرها في الكبر .
- ما العمل إذاً ..!
أنا لا أقوى على العيشِ بدونك .
- نؤجل الحديث في هذآ الأمر الآن ،
دع الأيام تفعل ما تشاء .

ليس للحب تعريف أو هوية ،
فذلك الذي يفصل بينك وبينه
آلاف الكيلومترات
هو أقرب إليك من نفسك ،
بل من كل حبال أوردتك ..

...

تعود نادية إلى القرية وفي الطريق يصادفها بعض الجند العصاة .

- من أين أنت يا فتاة ؟
- من قرية تل البنات ..

أنتم من العصاة .؟

- العصاة ..

هذهِ التسمية تسمية بعثية .!
من علمك إياها ..
نحن الأحرار وليس العصاة .

- لا دخل لي بكم ..

إن كنتم عصاة أم أحرار ..
إفسحوا لي الطريق ،
أريد أن أعود للقرية .

- ولكنك جميلة ...!
كيف لنا أن نترك هذآ الجمال دون أن نلمسه حتى .
تنزعج نادية وترتبِك .. ثم تبدأ بالتراجع مع تقدم أحدهم باتجاهها ..
- إياكم أن تقربوا مني ..
لي أهل !!
إن علموا بذلك لن يتوانوا
عن قتلِكم جميعاً ..
- هههههه صدام بجبروتهِ لم يستطع إخافتنا ..
تريدين أن نخاف من طائفة صغيرة كالآيزيديين .!
ينزل أحد الثلاثة من حصانه ،
فتمر من فوقِ رأسهِ رصاصة .
ليصرخ حمزة وهو يصوب بندقيته الكلاشينكوف صوبهم .
- إن كنتم تريدون حياتكم ..
إبتعدوا عن الفتاة .
وإلا قتلتكم جميعاً .
- أيها الجندي ..!! هل تريدها لك ؟
- لا لي .. ولا لكم ..
دعوها وشأنها ..
أليس في رؤوسكم غيرة على الأعراض ،
وتلومون الجيش لأنه يطاردكم !

هيا إرموا أسلحتكم على الأرض ،
وعودوا أدراجكم ...
بسرعةةةة .
يرمي العصاة أسلحتهم على الأرض ، ويتراجعون ، فتركض نادية نحو حمزة ، وتعانقه .
- هل كنت تسير خلفي . !؟
- لا أعرف ..!!
مالذي جعلني أشعر بالخطر ، فمشيت خلفك .
- شكرا لك ايها العربي الشجاع .
- نحن العرب قد نقبلُ أي إنتكاسة .
إلا في العِرض فهو عندنا أغلى من كل شيء ، وذلك ليس بالنسبة لعِرضنا فقط ، بل كل الأعراض عندنا مصانة .. وتأبى شيمتنا أن تذل أو تهان .
- لقد أثبت لي فعلاً ..
أن الغرباء ليسوا ذئاب كما يصورونهم لنا .
- أحبك يا نادية .
- آه ... إنه الحب الحقيقي ..
أحبك يا حمزة أحبك .
- عموماً عليَّ أن أوصلك للقرية ..
لم أعد أطمئن عليك .
- ولكن لن تقترب منها كثيراً ..

فرجالها لا أئتمنهم عليك .
يعود حمزة بنادية إلى القرية ، وهي فرحة لوجوده وفعله معها .
وبعد أن تدخل القرية ، تفشي سرها لأمها ، وتخبرها أنها باتت تعشق حمزة ، وتريده لها مهما كلف الأمر ..
- لقد جنت على نفسها مراكش .. !
كيف لك أن تعشقي هذآ الغريب عن ديننا ،
أنت بذلك تحكمين على نفسك بالموت .
- الموت في سبيل حمزة ..
أجمل الموت يا أمي .
- لن أسمح لك بعد الآن بالذهاب لجلب الأعشاب ، نادية لن تخرجي من القرية بعد الآن ...
فهمتي ..
نادية ... تأكلها الوحدة .. تنهش عافيتها .. لقد رتب الحب لقاءها المعهود مع حمزة ، ولم تعد قادرة على تركهِ ونسيانه ، تترقب شروق حمزة في كل جمعة ، ولم يكن بالإمكان أن تحضه بفرصة لقاء ، تنكب على سريرها ليلاً ، تعانق المخدة وتسألها عن الحبيب ، تدمع مقلتاها ، يراودها ضعفها ، تستوقفها تلك المواقف التي كانت له معها ، يرتعش كيانها ، وهي تفكر في ركام الأفكار التي

تحيطها ، لقد أخرجت من أمتعتها صورة أبيها ، عانقتها باكية ، تلعثمت وتفاقمت مشاعرها .

ليس هناك أسوء من حب يحتضِر ، تحاول أن تنعشه ولكن دون جدوى ، الحب الحقيقي لا يموت .. وإن مات من يحمله في صدره ..

قد ندوس على كرامتنا ، إلا أننا لن نستطيع الدَوس على عاطفتنا .

الحب الخالد الأبدي ، هو من يملئ الكون كله ، وليس من يملئ فراغاً في قلب .

لقد شرِبت نخب الإنكسار ، وإخترق أوصالي شعورٌ دافئ ، ولم يعد في وِسع مخيلتي أن تتخيل غير ذلك الفارس الذي يسكن كل أحلامي ..

تفاصيل شخصية حمزة الماثلة في وجدانها إنتشلتها من كل المفارقات الفكرية والعقدية ، التي تربت عليها ، لقد مرت ثلاثة جمعات لم تره فيها حمزة ، وقد قررت اليوم أن تخرج له ، مهما كلفها الأمر ، تخرج مع البغل دون أن تشعر بها أمها ، وتخرج من القرية متجهه إلى شجرة اللوز .

عند شجرة اللوز ، حمزة في إنتظارِ حبيبتهِ نادية ، ويبدو أنها تأخرت ، وهو في تسائل ؟.

لِم كل هذآ الغياب .؟

أكل شريحة لحمٍ كانت معه ، وأحس بالتعب والإرهاق ، لتغفو عيناه وهو متكِئ على الشجرة ، كان هناك أفعى كوبرا قد أرهقها الجوع ، وقد شمت رائِحة شريحة لحمٍ قد أكل بعضً منها حمزة وتركها جانِباً .

لم تكن الأفعى لتؤذي حمزة ، إلا أن الأفاعيٍ حين تشعر بأي حركة قريبة منها تبادر بالهجوم وقايةً من الخطر الذي تتوقعه ، وقد شرعت بأكل اللحمة التي بجانب أرجل حمزة ، وحين جلس من نومهِ أحست الأفعى بالخطر فلدغته برجلهِ ، ويذكر أن كوبرا جبال شمال العراق ، من الأفاعي القاتلة ، مما تسبب بشلل حركة حمزة ، الذي حاول أن يقف دون جدوى ، فصار يزحف حتى أُرهِق وتوقف مرمياً على الأرض ...

كان ذلك .. في نفس اللحظة التي قدِمت بها نادية ، لتراه في هذآ الموقِف المحزِن ، وبصعوبة كبيرة ، تمكنت من حملهِ على ظهر البغل ، وتوجهت بهِ إلى القرية التي إجتمع الجميع حولها ، وهم يأنبونها ويصرخون في وجهها ، فهم يرون جندي يظنوه ميتاً على ظهر البغل ، وهو أمر أوحى لهم بأن الخطر قد إقترب منهم ، وأن الجيش العراقي لو علِم بمكان هذآ الجندي بينهم ، سيكونون في خطر محدق بسبب ذلك ، إلا أن نادية . لم تهتم لكلام الجميع ، وطلبت من والدتها أن تعالجه ، وتنقذ

حياة الجندي الحمزة ، وقد إدعت بأنها صادفته على الطريق ، وذكرتهم بموقفهِ معها ، ومع أمها ، وأن عليهم أن ينقذوا حياته كما هو أنقذ حياتهم ، وفعلاً يدخلوه إلى منزل نادية ، وتؤدي أم نادية دورها في معالجته من أثر لدغة الأفعى .

- حياته في خطر ..!

أظنها لدغة كوبرا الجبال .. آتوني بعشبة الخباز ،
وآتوني بماء ساخن جداً .

- أمي أرجوك إفعلي كل ما تستطيعين فعله لإنقاذ حمزة ، ولا تنسي أنه أنقذ حياتي وحياتك في يومٍ من الأيام .

- سأفعل ما بوسعي والباقي على الله يا إبنتي .

إسألي طاووس ملك أن يقف إلى جانبنا في هذهِ المحنه .

- إنه سخن ويرتعِش ! يا أمي .؟

- لقد وصل السم إلى جهازه العصبي ،

ليتنا نمتلك الوقت الكافي لإنقاذه .

تقترِب نادية من أمها وتقول مرتبكة :

- أعلمُ ان حمزة سبب لك ألماً بسبب حبي له ،

أرجوا أن لا ينعكس ذلك على عملية إنقاذه .

- كيف فكرت بذلك ...!؟

إن حياة الإنسان مهما كانت ديانته ، هي في عين الإله ،

أنا لم أذبح دجاجة في عمري ..
فكيف أفرط في حياة إنسان ..
هل جننت ؟
وعليك أن تعلمي أني أحببت حمزة كثيراً ،
لا سيما وأنه صاحب موقف نبيل معنا ،
تمنيت لو أني أنجبت ولداً يحمل شيء من خلقه وصفاته .
تعانق نادية أمها فرحة بتلك الكلمات ..

بعد مخاض عسير
ستكتشِف أنك مجنون
وأن هذا العالم ،
ليس أكثر من مصحة عقلية

لثلاثةِ أيام وحمزة فاقد الوعي ، حتى تبدأ الحمى تنزل شيئاً فشيئ .
وقد إستعاد وعيه .. وفتح عيناه .. وإذ ناديه أمامه .. تجلس عنده وعيونها مغرورقة بالدموع .
- **أين أنا يا نادية ؟**
- **أنت في منزلي ..**

لقد تعرضت إلى لدغة أفعى ، وقد أنقذت أمي حياتك ،
شكراً لطاووس ملك ، الذي وقف معنا في هذهِ المحنه .
وقد إستجاب دعائي ، فأنا لم أنم منذ ثلاثةِ أيام ،

أدعوا لك ليلاً ونهاراً لأن تعيش ولا تتركني وحدي ، يا حبيبي .

- أرجوا أن لا يكون وجودي في القرية ،
قد سبب لك حرجاً .
- لا تهتم ...
حياتك أهم من كلِ شيئ .
- أين أمك ؟
- تجهز لك العشاء ..
أنت لم تأكل منذ ثلاثة أيام ،
لقد علمت بأنك ستفيق من غيبوبتك ،
بعد أن بدأت الحمى بالرحيل عنك .
- أسأل الله أن يحفظها لك ..
وأن يحفظك لها ، هي أم رائعة تستحق كل الحب والإحترام .
- كل ما يهمني الآن ...
أن تقف على أرجلك وتستعيد عافيتك ،
لقد إشتاقت لنا شجرة اللوز .
- لم تأخرت عني لثلاثِ جمعات !؟
- لقد علِمت أمي بالذي بيننا ،
لقد أخبرتها بكل شيء ،
إلا أنها حرمت عليَ الخروج من القرية ،

وطلبت مني أن أنساك إلى الأبد .
لقد شعرت بأني في حاجة إليك ،
راودني شعور بأنك تنتظرني وبحاجة لي ،
ولم أكن أعلم أني لو تأخرت قليلاً ،
لكنت مت بسبب لدغة الأفعى .

- لقد انقذت حياتي ...

لقد أحسست بي .. كما أحسست بك ،
هذآ هو الحب الحقيقي الذي جمع قلبينا ،
وهو أكبر من أن يفهمه غيرنا .

- الموت في سبيل حبك سبيلي ..

لن أتخلى عنك ما حييت .

- نادية ..

يجب أن أرحل لو علمت الوحدة العسكرية بوجودي بينكم ، قد يهاجمون القرية ، إنهم قوم بلا رحمة ولا ضمير .

- وكيف ترحل الآن ...

لا لن ترحل حتى تكون في أحسنِ حال .

يحاول الوقوف حمزة ، إلا أنه لم يتمكن من ذلك ، يبدو أنه مازال متعباً ومرهقاً من غيبوبته .

- ألم أقل لك أنك مازلت متعباً .. لا تكن شقياً ..

عليك أن ترتاح قبل أن تفكر بالمغادرة ..
هل مللت وجودك بيننا .؟

- كيف أمل ..!
إنني أشعر بأني في الجنه ، كونك قريبة مني ،
إلا أني أخاف عليك وعلى والدتك ممن حولكم .
- لا تهتم ستكون بخير عما قريب ..
لتعود سالماً من حيث أتيت .
- وهل سأراك كل جمعة ..
أم أن هناك رأي آخر ؟
- لا تخف فتعلقي بك أكثر مما تتصور ..
ليس عليك إلا أن تكون بخير وكل شيء سيسير حسب ما تريد حبيب قلبي .

في اليوم الرابع من وجود حمزة عند منزل نادية ، وبعد منتصف الليل ، يصحو أهل القرية على صوت خيالة يقتحمون القرية ، وهم عُصاة الجبال ، فيطرق كبيرهم الباب على منزل أم نادية التي تفتح له ، فتجده (جيناف) .. ، وهو قائد العصاة ، وصديق المرحوم والد نادية الذي إستشهِد وهو يقاتل مع العصاة .

- جيناف .. !
مالذي جاء بك ؟
وماذآ تريد ؟
- علِمت أن في منزلِك جندي من الجيش ،
جئت لآخذه معي ..

هو صيدنا لهذآ اليوم .
هذآ الجندي إعتدى على رجالي وأخذ منهم أسلحتهم .
- وكيف لك أن تأخذ ضيفي يا جيناف ..
أهذآ هو رد الجميل لي بعد إستشهاد زوجي بين يديك . ! ؟
- أمي لم يأخذ حمزة سلاح الجند العصاة ..!
لقد حاولوا الإعتداء عليَ ..
وهو أنقذني منهم ،
وهو لم يأخذ أسلحتهم وقد تركها في المكان الذي تركوها به .
- العصاة لا يعتدون على النساء ..
ماذآ تقولين !
- جيناف ..
إبنتي وأعرفها ..
هي لا تكذب مهما كلفها الأمر .
هذآ الجندي ضيفي ودخيلي وأنا لا أعطي دخيلي .
- وكيف لك أن تدخلي غريباً في بيتك ..!
بعد إستشهاد زوجك ..!
أنت أرملة ، ووجود هذآ الغريب في بيتك يسيئ لك ، لا سيما وأنه أحد القتلة العرب ،
الذين تلطخت أيديهم بدم الكرد والآيزيديين .

- ليس كل العرب قتلة ..
وانت تعرِف ذلِك جيداً ..
وتعرِف أنهم مغلوبون على أمرهم بسبب سلطةِ البعثيين ،
هو يختلف عنهم ، لقد أنقذ حياتي ،
وحياة إبنتي قبل أيام ،
ولولا ذلك لما سمحت له بالدخول إلى بيتي ،
وبالأحرى هو لم يدخل البيت ،
لقد وجدته نادية على الطريق ،
وهو بين الحياة والموت ، بعد أن لدغته أفعى سامه .
- عم جيناف ...!!
أنا من جئت بهِ إلى البيت وإن أردت أخذه ،
فعليك أن تقتلني قبل ذلك .

...

يكون جيناف في حيرة ، بعد أن سمِع حكاية حمزة فينظر لحمزة وهو على الفراش .

- أيها الجندي ...
سأعطيك الأمان من أجل نادية وأمها لأربعة وعشرون ساعة ،
بعد ذلك دمك مباح لي .

يخرج جيناف غاضباً ، وسط ذعر أهل القرية ، الذين إجتمعوا حول أم نادية ، وطالبوها بالتخلص من حمزة . ولم ينتهوا من حديثهم ، حتى خرج حمزة من الباب متكئ على عصا .

- أيها الأحبة ..

ما كنت لأكون سبباً لأذيتكم ،

واليوم أحب أن أشكركم لإنقاذكم حياتي .

ووددت لو تعلموا شيئاً واحداً فقط ،

أن السياسة التي يتبعها الجيش والذي يتبِع سلطة ظالمة ،

لا تمثل الشعب العربي في الوسطِ والجنوب والغربية .

وكل ارض العراق .

فنحن كما أنتم ..

نعاني ونظلم ونعتقل ونعدمُ ..

هذآ النظام لم يكن عادلاً في يوم .

إلا في توزيع الظلم على شعبه .

إستوعكم الله ..

وسامحوني لأني كنت سبب قلقكم .

يخجل الجميع ، بعد سماعهِ لتلك الكلمات المؤثرة ، فيودعوه ، ويطلبوا منه السماح ، وبعد أن تجاوز حدود القرية .. إلتحقت به نادية ببغلها فتفاجئ لوجودها . وسعيها خلفه .

- مالذي حدى بك لأن تأتي خلفي يا نادية ..؟
أنت بذلك تتسببين بالأذى لنفسك ،
وما يؤذيك يؤذيني .. يا حبيبتي .
- الطريق طويلة إلى الوحدة العسكرية ،
وأنت بحاجة لأن تركب هذآ البغل ،
لينجيك من تعب الطريق .
- وكيف لي أن آخذ البغل الذي هو من
يعيلك على قضاء الكثير من الحوائج ..
لا . لا لن آخذه .
- بل ستأخذه ....
وإن لم تأخذه ستجبرني لأن أوصلك بنفسي
إلى وحدتك العسكرية .
- آآه يا نادية ..
لا أعرف ما أقول لك .
- إذهب وعين طاووس ملك تحرسك أيها الحبيب .
ينتهي ذلك اللقاء بعناق ساخن ، وبكاء وحرقة كبيرة .
لا أعرِف لِم يريد المجتمع أن يكون متشابِهاً
في كلِ شيء ..
في النمط .. في الأعراق .. في العقيدة ...
كانت الوحدة العسكرية ، قد إجتمعت لمرتين وهم يعِدون الخطط للبحث عن الجندي حمزة الذي إختفى ، وكان قد

حُقِق مع رفيقه الجندي سلمان ، الذي وشى بهِ وقال : أن حمزة له علاقة مع فتاة كردية ..
إلا أنه لا يعلم من هي ..
ومن أي قرية هي .
وكانت الوحدة العسكرية قد فتشت عنه الكثير من القرى المحاذية ، إلا أنهم لم يكونوا ليشكوا بقرية تل البنات التي يسكنها الآيزيديين ، فكانت الفكرة أن العلاقة بين جندي عربي وفتاة كردية وإن كانت مستصعبة ، إلا أنها ممكن أن تكون . ولكن من المستحيل والمعجزة أن تنشئ علاقة بين فتاة آيزيدية وجندي مسلم عربي ، لما يروج ويعرف عن أعراف وعقائِد الآيزيديين .
يلقى القبض على حمزة بعد عودته ، ولكونهِ لم يعترِف بحقيقة تلك العلاقة التي تربطه بالفتاة ، يُرسل مكتوف الأيدي ومعصوب الأعين إلى الإستخبارات العسكرية في بغداد ، ويظل لفترة طويلة تحت التعذيب ، وبعد ذلك يفرج عنه ، ويعاقب بالنقل من وحدته العسكرية ، إلى التنسيب على فرقة الإعدامات في نكرة السلمان ، في محافظة السماوة جنوب البلاد .
كانت الإستخبارات العسكرية قد علِمت عن طريق مصادرها السرية ، أن العصاة قد زاروا ليلاً قرية تل البنات ، وكانت المصادر تقول : أنهم تزودوا بالمال

والمؤن من القرية ، وقد صدر أمر بإعتقال جزء كبير من أهل القرية وترحيلهم إلى معتقل نكرة السلمان جنوب العراق . لا سيما أم نادية بسبب أن زوجها قُتل مع العصاة ، وأن لها علاقة مع جيناف قائدهم آنذاك .

وقد دخل الجيش الى القرية ، وعاث فيها عبثاً وفساداً ، وقد صادر أملاكها ورحل بعض أهلها إلى معتقل نكرة السلمان .

تدخل نادية وأمها المعتقل ، وقد تعرضن هن ومن معهم من أهل القرية إلى التنكيل والإضطهاد ، والتعذيب أيضاً ، وقد إعترف البعض بأن للقرية علاقة مع بعض العصاة ومنهم جيناف الذي يمثل المطلوب رقم (1) للإستخبارات العسكرية .

كان معتقل نكرة السلمان معتقل سياسي ، لا يعرض الذين يُعتقلون فيه إلى محاكمات أبداً ، بل أن الكثير ممن دخلوا فيه ، بقوا فيه ، وإن لم يموتوا قهراً ، ظلوا سنيناً طويلة ولم يخرجوا منه إلا بعد سقوط النظام ، وتحريرهم من قبل الأهالي وقوات التحالف .

كانت الأيام تمر على مضضٍ على حمزة ، بعد فراقٍ دام لأكثر من ستة أشهر ، لم يره فيه نادية ، لقد إجبر على الدخول في دورة في فرقة الإعدامات التي نُسب عليها كعقوبة ، وكان في كل يوم يدعوا الله ويسأله أن لا يضطر

لقتل أحد ، فهو ليس بقاتل ، هو فلاح مهمته غرس الحياة ، وليس نزعها ..

لقد قال له الضابط المسؤول عنه :

إن أول عملية إعدام ستمر علينا ستكون أنت منفذها ، لكونك جئت إلينا معاقباً ، أي أن ولاءك مشكوك فيه ، وإن نفذت أكثر من عملية إعدام بحق مدانين ، سأرفع بك تقريراً إلى القيادة ليرفع عنك العقاب ، وتكون أحد الجنود المحترمين بيننا .

تمر الأيام على نادية صعبة ، وهي في المعتقل مع أمها . وهي بين ذلك الحزن وحزنها على فِراق حبيبها حمزة .

كانت أم نادية ، تمارس دور الأمومة لكل المعتقلين ، كانت تطالب بحقوقهم وحريتهم ، وتطالب بأن يُسمح لها بمعالجتهم ، وقد تطور دورها إلى أن تكون قائدة المعتقلين ، وحين يمسهم سوء ، تتظاهر داخل المعتقل وتعتصِم ، وترفض أن يتِم إستعباد أبناء الطائفة ، وترفض الإعتداء الجنسي الذي يمارسه بعض الضباط مع البنات التي يتم التحقيق معهن بعد منتصف الليل .

وفي يوم قررت إستخبارات سجن نكرة السلمان ، أن تُعدم أم ناديةً وأمام الجميع في المعتقل ، بتهمة التمرد وتحريض المعتقلين ، وقد جيئ بسرية الإعدامات إلى المعتقل ، ولمعرفة آمر وحدة فرقة الإعدامات بأن حمزة ،

قد جيئ بهِ إليهم عقوبةً ، طلب منه أن يمارس دوره ، ولأول مرة .. بأن يقوم بإعدام أحد المتمردين .

كانوا مجتمعين في ساحة المعتقل ، وقد سُلِم حمزة بندقية كلاشينكوف ، وطولِب بتنفيذ أمر آمر الوحدة ، كان يرتجف خوفاً ، لا حول له ولا قوة ، وهو يعرف أن الإخلال بتنفيذ مثل هذآ الأمر هو أن يعدم هو ، وفي نفس المكان الذي أبى بهِ تنفيذ الأوامر العسكرية .

لحظات ، ويجيئ بأم نادية مقيدة إلى الخلف ، يوقفونها أمامه ، ويكاد لا يصدق الأمر ، يرى أم نادية وتراه ، وعند رؤيتها له ، كان وقع الأمر عليها كما هو عليه ، نظرت إليه مدمعه .. حزينة .. ترائت لها صور تلك الأيام التي كانت تعالجه فيها ، كانت الرؤية مشتركة وهو أيضاً ترائت له صورتها وهو تطعمه وتسقيه الدواء ، وتضحكه وتسامره ، وتضفي عليه البسمه ، لحظات وصرخة تهز كيان المعتقل ، كانت الصرخة لنادية وهي تره حمزة بيدهِ البندقية ، يصوبها على أمها ، نظر إلى القضبان الحديدية ، التي هي خلف مكان وقوف أم نادية ، شاهد نادية تمسِك بالقضبان وهي تصرخ بأعلى صوتها (حمزة ..) ،

(أمي ..) وما هي إلا لحظات ،

حتى صُرخ في وجه حمزة .

- جندي حمزة .. نفِذ الأمر .

- جندي جمزة .. نفذ الأمر .
- جندي حمزة .. نفذ الأمر .

الجميع ينظر إلى حمزة ، والبعض إلتفت إلى منظر نزول البول من على بسطال أرجله ، نظر حمزة بنظرة حبٍ عميق إلى نادية ، وخَر ساقطاً على الأرض مغمىً عليه .
رأته نادية ، يقع أرضاً وقد حمله الجند وأخذوه إلى مكانٍ مجهول ، وبعد ذلك تقدم جندي آخر .. قام بعملية إعدام ميدانية لأم نادية ، وسط صراخ وعويل نادية في مشهدٍ يندى له الجبين البشري .
لقد مرت سنين عِدة ، ونادية وقومها في ذلك المعتقل المعزول عن العالم ، وفي يوم سألت أحد الجنود عن ما حل بحمزة ،؟
فقال لها أحد العسكر : أنه تم إعدامه لرفضهِ تنفيذ أمر عسكري ...
لم يبقى لنادية سِوى ذاكرة بدأت بالتلاشي ، ففقدت القدرة والحاسة على إستحضار أجمل اللحظات ، هي من جيل مخنوق ، ومن طائِفة حُكِم عليها بالقهرِ والعذاب ، تباً لكلِ من أقحمها في ذلك ، وأستنزف دموعها ومشاعرها ..
كفئران تجارب ، لم تعُد النفس البشرية لها أي قيمة ، في مجتمعاتٍ هي عبئ حقيقي على هذآ الوجود ..
وهذهِ الحياة ..

يفيق حمزة على صوت كلمات لطبيب وطبيبة يقفون من حوله .

- لقد شلت يده ورجله ،

وفقد القدرة على النطقِ أيضا ،

بعد الجلطة في جذع الدِماغ التي أصابته ،

مسكين .. سينقل من هنا إلى المحكمة العسكرية ،

للحكم عليه بجناية سياسية .

يقضي حمزة فترة من السجن في سجن أبي غريب وهو مشلول ، وعلى كرسي عوقه ، بعد أن حُكِم عليه بالسجن المؤبد ، وقد ظل في السجن حتى سقوط النظام البائد عام 2003 . ليستقبله أهله بعد ذلك ويعودون بهِ إلى البيت .

كان حمزة قد فقد القدرة على المشي والنطق معاً ، وقد قرر أهله السفر به ، وإجراء كافة المحاولات ليستعيد عافيته وقدرته على النطق والمشي ..

...

عام 2003 م ..
الديموقراطية : هي سجن كبير يزدحم بزنازينه التاجر والسارق والمخمور ، والمتاجر بالحشيشة ، وذوي الخصومات الخاصة ، إستحوذوا على كل شيئ في بلدي حتى الفضائل الثلاث . الدين الوطن الشعب .
هل الديموقراطية ؟ هو أن تتعلم " أم علي "
كيف تأكل بالشوكة والسكين ؟
ويأمل " عبود " بلبس ربطة عنق وفراشة !
ويُجبر بسام على ترك الجامعة والعمل بصفة مترجم في سجن بوكا . !
كل ما أعتقدهُ أننا مجتمع سوي وعادل لكنهُ يعاني من إرهاصات داخلية ، وإطروحات دينية قديمة ، ويبدو لي أن العرف والتقاليد قِوى غريبة ساهمت ، في قمع المرأة وإستبدلت العقل بعقال ، لطالما تساءلت كيف السبيل لمعرفة حقيقة الأزمات والكوارث في بلدي ، فأكتشفت أني نبي لا يوحى إليه ، لذلك كانت دعوتي علنية وهي الجنون . من حقي أن أفتي بإعلان الإطار الشرعي للقائات الشباب الغرامية بشرطها وشروطها (الحُب) .
وأن .. أقول أن :
إختلاف الأديان والطوائف سببه تحريف القراءات ، وإعتماد كل طرفٍ حقيقة ما يتناسب مع أهوائه ورغباته .

وأظن أن الإمامة والخلافة ليستا سبباً كافي لتجريم وتسقيط الآخر .
لطالما قلت لكم أن الفراغ والبطالة محرمات تستحق إعلان حالة حرب . !!
إنما أنا إنسان .. أحاول لم الشمل العام وتوحيد البشرية ، وإن إستدعى الأمر .. قد أعلن ما لا يحمد عقباه ، وقد أغير شيئ ، والشيئ .. لا يستخف به في عالمٍ فقد الثقة بنفسه .

...

تعود نادية وأهل القرية إلى قرية تل البنات ، وقد أعادوا بناءها من جديد ، بعد العبث الذي لحقها ، إثر دخول الجيش لها إبان حكم النظام البائد .
وكان أول شيء تفعله بعد العودة هو زيارة مكان شجرة اللوز ، وزيارة قبر العم آران ..
تتزوج نادية من سوزدار ، بعد أن الح في طلبها وكان موقفها ضعيف جداً ، وهي وحيدة في القرية ، وقد طلب جميع أهل القرية منها ذلك .
ترزق بولد وبنت تؤمين يشبهان بعض ، وقد طلبت نادية من سوزدار أن تُسمي الولد بإسم المرحوم (حمزة) ظناً منها أنه أُعدِم ، بعد أن رفض تنفيذ حكم الإعدام بأمها رحمها الله ، وهو الكلام الذي سمعته من جند المعتقل بعد

ذلك الحدث الأليم . وقد وافق سوزدار على طلبها بعد أن سمى هو إبنته (شاريا) .
يكبران حمزة وشاريا وهما الآن :
في سن العشرة سنين ونحن الآن في عام 2014 .
كانت نادية تفضِل أن تحتفِل بعيدِ ميلاد طفليها وعيد زواجها من سوزدار ، عند شجرة اللوز . تلك التي تربطها بها حكايات رائعة ، لأبيها ولحمزة الذي ظل محفوراً بالذاكرة ، وكان ذلك الحب محط إحترامٍ وتقدير لسوزدار ، فهو يعشق نادية ، ويقدر حكم ما جرى معها من أحداث وذكريات .

- سوزدار ..
أتمنى أن لا يكون تعلقي بهذهِ الشجرة مصدر شؤم
أو حزن لك ؟

- لا يا نادية ..
لقد أصبح حمزة من الماضي ،
وللذكريات حقٌ علينا .
وأنا أحترم ذلك الحب الذي جمعكما في الماضي ،
كان حباً بريئاً وسمياً ، ومن حقك أن تتذكري الإنسان الذي ضحى بحياتهِ من أجل أن ينقذك وأمك أكثر من مرة ، أسال الله له الرحمه .

- شكراً لثقتك بي ..
وحبك العظيم ..
إعلم أني أحبك ومخلصة لك إلى الأبد .

...

هذآ الكم الهائِل
من النصح والإرشاد ،
يراد به السيطرة على الناس ،
وليس هِدايتِهِم ..!

تُقبل سيارة فيها شفيق ، إبن العم آران ، الذي ينزل من سيارته منزعجاً وقلقاً .

- إرجعوا إلى القرية ..
لقد سقطت الموصل وصلاح الدين بيد الإرهابيين ،
وهم في الطريق إلى سنجار .
- ماذا تقول يا شفيق ؟
- أقول ما سمعتموه ..
الأخبار تقول أن داعش في طريقه إلى سنجار وقراها ،
إنجوا بأنفسكم وأطفالكم ..
قبل فوات الأوان ..

مذ تاريخ يحمل المسلِم على عاتقهِ قافلة قل :
(أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله)
قال تعالى : شهِد الله أن لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم " القرآن هو الكتاب الصحيح ، مع تسليمنا بأن السنة النبوية عند الطوائف المتعددة قابلة للنقاش والتعديل ، ولا تخلوا من التحريف ، لم يذهب القرآن إلى أن الدخول في الإسلام عن طريق الشهادتين حصراً !!
إنما عرَف القرآن النبي بآياته وأحكامه وقصصه ، أي أن معرفة الله ورسوله ، تكفي شهادتاً بذلك .
والمعرفة هي مقدمة الإيمان ، أما الشهادة ، فالآية أعلاه حصرت الشهادتين بأن : لا إله إلا هو هو والملائكة واولوا العلم " الذين يختلف فيهم المسلمين ، وبرغم هذآ الإختلاف ، إلا أن أحداً منهم لم يذهب إلا أن أولوا العلم هم عامة الناس . إنما قالوا :
طائفة الأنبياء والأوصياء ..
وقال آخرون (العلماء) .
وقال أخرون بشمول أهل العلم بتدرج ، ومن هنا : أن الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، طلب الشهادة من الناس ولم يجبرهم عليها ، أي أن قولها ممكن أن يكون تبركاً أو إضافة للمعرفة ، لا بأن الشاهد

بها هو الشاهد القرآني المختص بالله والملائكة وأولوا العلم ..

فالشهادة غير الإيمان والمعرفة ، وقد إختص بها الله خاصته ، ومن غير المعقول أن يكون النبي صلى الله عليه واله وصحبه وسلم ، قد خالف القرآن وأوجب الشهادة على الداخلين بالإسلام ، وأستدِل بذلك بإعتبارهِ للطلقاء عموماً كمسلمين دون الإدلاء بها ..

إنما كان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين ، يطلبها من الداخلين بغاية الإعلان .

ولو أن أحدهم قال قبلت بالإسلام ديناً ، لما طولب بها من النبي صلى الله عليه وآله وصحبه ، لذآ فإن كهنوت التاريخ والفقيه والحاكم السياسي الديني ، أدخلها على الدين كراية في الحروب أو للتنكيل بعدوٍ ، أو لإرهاب أمة ، كما حدث في زمن سابق ..

كما أنها حديثاً ، رُفِعت للترهيب والتنكيل ، وإستباحة المدن والأمم .!

إلا أن الإشراك بالله ، هو الحيز الضيق الذي قد لا يفر منه أولوا العلم والإيمان .!! ناهيك عن عامة الناس ، إذ قد تشرك بالله بدرهم على سبيل المثال .. أو بصديق .. أو بحاكم .. أو برمز سياسي .. أو ديني بالتفاوت ..!

(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون 20 الفرقان
(لايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله 64 ال عمران

أصل مشكلة الكهنة في أنهم لم يخافوا ربهم ، لذلك أخافوا الناس به .. !

يركب سوزدار ونادية وولديهما سيارتهما ويرجعان للقرية ، التي كانت تعج بالخوفِ وبالقلق .

- الإرهابيين في طريقهم إلينا ..

ولن يرحموننا ..

بل سيقتلوننا جميعاً ..

ويسبون النساء ..

علينا أن نغادر .

- إلى أين ؟
- إلى أربيل ..

فهي المكان الوحيد الآمن الآن .

لحظات ويبدأ القصف على القرية ، بصواريخ الهاونات ، فيبدأ الجميع بالركض هرباً إلى الجبال ، ويطلب سوزدار من نادية أن يأخذا ولديهما ويذهبان إلى الجبال ، إلا أن نادية ترفض وتقول له : أن لا قدرة على طفلينا بالفرار ، علينا أن نبقى في البيت ، لن ينفعنا الهرب .. سيقتلونا إن هربنا عبر الصواريخ والرصاص .

يدخلان نادية وسوزدار البيت ، وهما من ضمن عدد قليل يفكر في ذلك ، فالأغلبية قررت الهرب إلى الجبال ، ولكنهم لم يفلحوا ، وقد لحقتهم سيارات الجيب الداعشية ، التي أردت الكثير منهم .. وأعتقلت الكثير .

وقد سيطروا على القرية ، وكانت نادية تراقب الأوضاع وشاهدتهم من الشباك يحتفظون بالنساء ويقتلون الرجال

- سوزدار ..

علينا أن نحفر حفرة هنا ، لنأمن على حياتك .

- نادية ..

فالنحاول الهرب أرجوك .

- أرجوك سوزدار ..

لن ينفع ذلك ..

القرية طوقت من كل مكان ، وهم يقتلون الرجال ..

وأنا لن أسمح لك بالموت وتركي وحيدة .

يحفران نادية وسوزدار حفرة تسع لسوزدار ، يضعان فيها برميل ماء كبير فارغ ، بدون غطاء ، ثم يضعون الغطاء ويضعون الفراش عليه .

وتقوم نادية ، بعملية إخفاء التراب وإرجاع الفراش على طبيعته .

يدخل الدواعش البيت وسط رعب الطفلين ، ويقومان بسبي نادية ، وأخذها مع طفليها .

جاء الإسلام ليكون النص فوق الإجتهاد وليس العكس ، أعطِني نصاً واحداً ظالِماً خيرٌ لي من أن أظل تحت رحمة نصٍ كلٌ يفسِره حسب أهواءِه .

يخرج سوزدار من حفرتهِ مرتبِكاً ، لا أحد في البيت فيبدأ بمراقبة المشهد من خلال الشبابيك ، تماسَك وتحامَل على نفسهِ ، وقرر أن يصمد ، حتى يجد منفذآ لإنقاذ زوجته وطفليه من أيدي داعش .

فتح التلفزيون ليسترِق الأخبار العالمية ، وكان مراسل إحدى القنوات العربية يقول : حاصر تنظيم داعِش جبل سنجار غرب الموصل ، الذي يتخذ منه نحو ألفي آيزيدي ملاذآ .. بعد أن نزحوا في وقتٍ سابِق ، والنازحون يتحدثون عن إن داعش ، قد إقتاد فتيات من الآيزيديين إلى مكانٍ مجهول .

وإن عدداً من كبار السن وأطفال ، توفوا في الجبل ، نتيجة لنقصٍ حاد في المواد الغذائية والطبية والماء الصالح للشرب .

كما وأطلق مختار إحدى القرى الآيزيدية ويدعى :

(جمال أبو خالد) نداء إستغاثة ، عبر قنوات إعلامية عدة إلى المنظمات الإنسانية والدولية لإنقاذهم من حصار داعش ، التي تفتح نيران رصاصها صوب الجبال ، في محاولة لإقناعهم بالترغيب والترهيب ، للعودة إلى قراهم البالغ عددها خمسين قرية .

...

لا مهرب للمرأة من تيهِها ، حتى تشيخ ..
وتكون غريبة عن الأعين . !
أو لنقل ... أنها لم تعد سِوى سِلعة
في سوق النخاسة والشهوات ..

وقد شنّ تنظيم داعش في آب أغسطس من عام 2014 ، هجمات واسعة على سنجار ، والبلدات ، والقرى الأيزيدية غرب الموصل . وإختطف الآلاف من الأطفال والنساء الأيزيديات ، وقتل الآلاف من الرجال والشباب ودمر مناطقهم ، بحسب الناجيات من قبضة التنظيم .
من جهه أخرى نظم عدد من الناشطين الآيزيديين تظاهرات في أربيل ، وأماكن أخرى يطالبون فيها البيش مركة ، والجيش العراقي ، للتدخل وفك أسر أبناء طائفتهم

من بطش داعش ، وقال (بلال سنجاري) : إن لم تتحرك القوى العالمية والبيش مركة والجيش العراقي ، فإن طائفة في العراق ستباد عن بكرة أبيها ، أما جوعاً أو عطشاً أو نحراً .

ويذكرُ أن جبل سنجار يقع في الغرب من الموصل وبالقرب من الحدود العراقية السورية .

الأحداث تتسارع وتتنقِل من مشهدٍ إلى آخر ، تستعاد العادات الجاهلية القديمة ، وكأن العصر هو عصر الجاهلية الأولى ، عصر الغزوات والصراع من أجل البقاء والأرض .

الأبرز في تعريف الله هو القلب ، وليس التاريخ ، أو الكتب مهما عظمت قداستها .من لم يشترك معك في معرفة الدين قد يشترك معك في معرفة الله . الدين بصورتهِ الأوضح هو متعدد الأفكار ، وليس المذاهب ..

...

نحن الآن في بقعة يحكمها العديد من الملثمون القادمون من خلف الحدود ، لهم قانون خاص في الإقتصاص ، ولهم شريعة له ، وهكذآ يبقينا الزمان تحت صدمة المفاجئة ، لما يجري أثر كل حادثة .

رجال الصحراء قد دخلوا القرى في مطاردة تشبه مطارة النمور للغزلان ، لا سيما في مطاردة الفتيات الجميلات والنسوة ، إنهم يرقصون ويتغنون في القتل ، حتى ساعات صباح الصباح الباكر ، والذي لم يعُد باكراً بوجودهم ، وكأنها مغامرة في سيناريو سينمائي مُعد ..
أو رواية تحدثنا عن العتمة والرمال وعودة (دراكولا) .
بتنا لا نعرِف أهو صراع على سلطة ..
أم على أم على مال ..
أم هو فعلاً صِراع على الله .!!

حاول أن تغير من نفسك ،
وستضمن أنك ،
غيرت أحد السفله على هذا الكوكب ،
بدل من محاولتك تغيير الاخرين .. !

...

أبقوني لأيامٍ في مكان لوحدي ، أنا وطفلاي حمزة وشاريا ، ومن ثم إنتقلنا لقاعة كبيرة مليئة بالسجينات الآيزيديات وأطفالهن .
لا تزال نادية تتذكر تلك الليلة ، التي مرّت فيها شاحنات وهي تحمل أعداداً من النساء والأطفال المحاطين

بمسلحين من داعش أمام منزلها في قرية تل البنات غرب الموصل ، متجهة نحو المعتقلات وصراخ وبكاء الأطفال والفتيات يدوي في القرية .

لا أستطيع النسيان ..

فحجم المأساة ، لن يسمح لذاكرتنا بمحو تلك الأحداث المأساوية ..

تروي لي إحدى الرفيقات الآيزيديات ، أنّ مسلحي داعش أنزلوا الضحايا من النساء والأطفال والفتيات من السيارات ، وهم ينهالون عليهن بالضرب المبرح ، قبل أن يدخلوهن إلى السجن الذي كان خاليا من المعتقلين .

علمنا من صراخهن واستنجادهن أنهن سبايا أيزيديات اختطفهن داعش .

الحروب جعلتني أزور مدن لم أزرها من قبل ..

وأتسكع في حارات ليس فيها إلات التصوير ..

الحروب عرفتني بأمهات فقدن كل شيء .

كل شيء .. إلا دعواتي لهن بالصبرِ والسلوان !!

...

كل الرسائل التي جاء بها الإسلام والأديان الأخرى .. مهما بلغت حجتها لن تقف شامخة قبال :
دموع طفلة تبكي لفقدِ أبيها .

24 ديانة تصاحبها آلاف العقائد التي تمارس على وجه هذآ الكوكب ، والجدير بالذكر : أن كل عضو ممن ذكرنا هو تقي وصادق مثلك ، وإيمانه راسخ بنفس درجة إيمانك وربما أكثر ..

للأسف أصبحنا نتمنى الموت والدمار والخراب لبلدان كل ذنبهم أنهم ولدوا من هذهِ الطائِفة .. أو تلك !!

رِضا الله .. ليس مرهوناً بالعبادة .. بقدر ما هو مرهون بالمعاملة . فـ اليفهم ذلك جيداً المتدينون الجدد .

جميعنا نعلم عندما كنا صغاراً ، كان يتم تخويفنا بمخلوقات وهمية كـ " البعبع ، والعو ، وأبو ما أعرف أيش .. الخ " الأسماء تختلف في بعض البلدان العربية تقريباً ، إنما تصديق وجود هذه الكائنات القصصية الاسطورية والوهمية ، التي لا يخلو منها فولكلور أي مجتمع لا يقبله أحياناً حتى الأطفال .

معظم زعماء الجماعات الدينية
هم من البارونات !
بمعنى سادة الأرض ..
وليس السماء !!

لن تجد رجل الكهنوت في خطبة يتحدث عن مشاكل الفقر في وطنه ، أو عن التعليم وأهمية التعليم لوطنه عن طرق وأسباب تقدم المجتمعات ، ستجده يتحدث غاضياً عن شهيد قتل في معركة اليمامة قبل 1400 سنة ..

رجل الكهنوت هو رجل الخرافة بإمتياز ..

لكلِ مخلوقٍ شخصية (منفردة)
لا يشاركهُ بها أحد ، ،
الإختلاف عُلة خلقية تكشفها بصمة الاصابع

يدخل بيكاسو إلى منزلهِ ،
فيكتشف أن لصاً كان فيه .
لكنه يبات حزيناً ،
لعدم سرقتهِ أحد لوحاته .!

...

عليك أن تدرِك تماماً ، أن كل شخصٍ يختار عقيدته ليس لفضائلها أو الأدلة التي تدعمها أو نظمها الأخلاقية ، انما لأنهم وجدوا عليها منذ ولادتهم ؟
(هذا ما كان عليهِ أبدي وجدي) .!
أنت واثق بشدةٍ من ايمانك .!
أنت تعرف أن دينك هو الدين الحق ..
وجميع الديانات الاخرى خاطئة .!
أنت على إستعداد للمراهنة بروحك الخالدة من أجل هذه الحقيقة ، ومع ذلك ، هل توقفت لتتمعن في حقيقة أن هناك أربعة وعشرين ديانة رئيسية ومئات المعتقدات المتنوعة التي تمارس على هذا الكوكب .؟
والتي يمارسها سبعة مليار نسمة يسكنون الأرض .!
هل تعلم أن كل عضو .. من كل عقيدة تُمارَس هو شخص تقي ، وصادق مثلك ، وأن إيمانه راسخ بنفس درجة رسوخ إيمانك ؟
ولكن .. لأن كل ديانة ترفض الأخرى ، وتتناقض معها في القضايا الكبيرة والصغيرة على حدٍ سواء ، لا يمكن أن تكون كلها على حق ..
يجب أن تكون هناك ديانه واحدة صحيحة .. أليس كذلك ؟
ليس بالضرورة أن تكون هناك ديانة واحدة
على حق .. والأخريات على باطل ،

بعض الغرور فضيلة .!

سُئل برنارد شو مرة ،

عن سبب تكليمه لنفسه فقال :

أحتاج أن أكلم شخص ذكي ..

أنت تعلم بكل بساطة أن عقيدتك هي الإستثناء ، ولكن ، إذا كان كل عضو من كل دين يشعر كما أنت تشعر أنت .. ماهو الإحتمال أن تكون أنت على حق ؟
نظراً لتعدد الديانات ..
ألست أكثر عرضة للإختيار بشكلٍ خاطئ ؟
لم نعد بحاجةٍ إلى قصصٍ تجعلنا نحس بالأمن .. وبأن : لنا قيمة .!
ألم يحن الوقت حتى تصبح معتقداتنا تتماشى مع إكتشافاتنا ؟
ألم يحن الوقت ..
حتى تعكس أفكارنا ووجهة نظرنا الجديدة ؟
(هناك روعة في الواقع تتجاوز روعة الوهم)
لقد حان الوقت لكي نتعرف على الكون أكثر .. كما هو .. حتى لو أن ذلك يضائل أوهامنا .. يجرح غرورنا .. يهزم وجهة نظرنا .. ويجبرنا على الإعتراف بأننا :
لا نملك كل الأجوبة ..

الله موجود لا شك ولا ريب ،
الشك والريب في جعلك له
على حد فهمك ..
حد مقاسِك ..
حد فرقتك !!

كلما كان المجتمع أكثر تشبثاً بلغة العنف ، كان أكثر تعصباً وخطأ .

فمن تعصب كمن تأبلس أي أنه إنتقل من مرحلة إنسان .. إلى مرحلة إبليس ..

وهذآ هو حال الكهنوت اليوم . فهم أكثر تشبثاً بلغة العنف ، وهي ثقافة توارثوها حتى بالأسماء ، من حيث أخذ لقب دون الآخر كما هو في تلقيب علي بالأسد .!

وعمر بالفاروق .!

ومن سلف بالمنتقم بالله .. وسيف الله .. وإلخ ..

خلق الله للإنسان في أحسن تقويم يستدعي حرمة إستصغاره ، مفهوم قرآني صريح خارج شوارع علم الحديث وأسباب النزول ، توحد الناس على قيد الحكم هو منطق متعالي على مفهوم الكفر والإيمان .

الفتح متهم وحسب بتخلفنا والتوحش .

سيما أنه تجاوز أعماق الإيمان والنبوة والدين والله .
يحمل النبي قانون الطلقاء ومبدأ العفو عند المقدرة إلى مكة ، في حين حمل موسى بن النصير وطارق بن زياد عصبياتهم القبلية من المشرق إلى الأندلس .. فهم يرون أن للعرب الأحقية بالإحتفاظ بالمناطق الخصبة وضفاف الأنهر ، أما الشريك البربري للمسلمين بالفتح ، فليس له إلا : أن يحتفظ بالمناطق الجبلية والوعرة والوديان !!
ناهيك عن الإضطراب بين العدنانيين والقحطانيين ، الذي تميزت به تلك الفترة .
إشكالية مادية حقيقية أجاب عليها التاريخ بأنها أزمة الخليفة والعبد .
بينما الإشكالية الأكبر في حملِهم لمفهوم التوسع ..
لا هدف الدعوة والتبشير ..
تسير الأندلس نحو حتفها وتسترق النظر إلى سراق العشق من جنود الله ، فتيات تساق إلى حتفها مستسلمة إلى الله الذي غزاها بجندهِ على الأرض .!
هنا عين العبث الذي لا يمكن إعتباره قادم من النبي ..
من الله ..
فشريعة السلب والنهب والكره والإستعباد ، تحجب القلوب عن العقل .. عن الحق .. أي إحساس سيعتري الفتاة

الآيزيدية الموصلية حينما يقرر مصيرها القادمون من بعيد .!
مدائن يدعى لها بالويل والثبور .. بقتلٍ .. وإستعباد .
حكايات رب .. يبرر تدمير الحضارات ،
مدينة على شاكلة من الحياة .. يملئها الخوف المقدس ،
سلاطين إختصروا معرفتهم بالآخر بكلمة نجس وكافر .
صنعوا من أزمة القيم البشرية مدناً لقساوسة الجزية والنكال .
لذآ .. هذهِ ليست بمدائن الله ..
حينما إتحذت من المحراب معولاَ وصلبانا !!

الله منحنا إرادة حرة ،
وعقلاً نُحسن به التفكير ،
لنكون عصىً بيد موسى ..
وليس أفعى عند فرعون .!!

...

كان أشد البؤس على نادية ، هو يوم جبئ بأولادِ عمها الستة ، وتم إعدامهم أمام ناظرها ، وكان كل ما عليها هو أن تبكي .. أن تصرخ .. لا أكثر .. ولا أقل ..
كل شيء ممكن في هذهِ المرحلة من الحياة ، أن تفقدِ نفسك وأهلك وذويك وخاصتك ، وحسب رغبات الغرباء ، ذبحاً .. أم شنقاً .. أم حرقاً .. أم رمياً بالرصاص ..
بل أنك لن تستطيع تخمين أي طريقة جديد في القتل قد يبتكروها .!
كانت الكوابيس تتناسل في كل يوم ، ليست كوابيس النوم ، فالكوابيس أصبحت حالة من الحالات اليومية التي نعيشها .
المكان يضيق بنا .
يضيق بشدة .
شرود لم يلتفت له ..
كل العالم الذي يدعي أنه حر من حولنا .
هل فعلاً إنتهى كل شيء كما يقول هؤلاء ؟!
أم أن هناك أملاً يلوح في الأفق .
التنظيم كان يفرض حراسة مشددة على السجن ، لكنه لم يُبقِ المختطفات فيه أكثر من شهر ، حيث نقلهن إلى مكانٍ آخر ولم نعلم إلى أين .!؟

ضراوة الهجمات التي شنها مسلحو تنظيم داعش في مناطق سنجار ، وما حولها لم تتوقف عند انتهاكات حقوق الإنسان ، التي إرتكبها عناصر التنظيم المتشدد بحق المواطنين .. إذ كشفت لي شهادات رفيقاتي الأيزيديات جانبا جديداً من وحشية داعش ، وقررت أن أحفظ كل القصص ..

وأدون كل الأحداث للتاريخ ..

ولعموم البشرية من حولِنا .

لقد طلبني أميرهم له ، وطلب من الجند أن لا يمسني أحد غيره ، ومنعهم من بيعي في سوق النخاسة ، أو أخذي لمكانٍ آخر ، كما أني البنت الوحيدة التي سمح لها بأن تحتفِظ بأطفالها معها دون أن يأخذوهم هم منها .

وقد تنقلت من سجنٍ إلى سجن ..

لكن داخل القرية ، وكنت في كل يوم ألتقي بفتيات آزيديات حتى من قرى وأماكن أخرى ، وكنت كلما جلست مع إحداهن ، طلبت منها أن تحكي لي قصتها وما جرى معها بالتفصيل ، وقد مر على وجودي هنا في القرية أكثر من أربعة أشهر ..

...

لطالما قتل الفرد بمسمى الدين ،
ولطالما أقيمت حدود الله على أجساد عبادِه
إذ أن توحيد الله لم يكن بتوحيد الإنسان .!
إنما بتفرقتهِ .. وتجزئة إنتماءه .

عاصفة .. واحدة من النساء الأيزيديات ، التي تمكنت مع مجموعة من عائلتها ، من الهرب من تنظيم داعش قبل نحو شهر .
ويذكر إن النساء الأيزيديات اللواتي إختطفهن عناصر التنظيم لم يقدمن على غسل وجوههن ، أثناء فترة الاحتجاز حتى لا يظهر جمالهن ويتعرضن إلى ما لا يحمد عقباه .!

نُصفِق لِحربٍ يقودها أبناء الطائِفة
حرب تُقتل فيها أم لا نعرِفها ،
وطِفل لم يسعنا أخذه بالأحضان !!

...

القصص التي ترويها ليَ مواطنات آيزيديات من سجون تنظيم داعش قبل أيام ، تفوق ما يكتبه روائيو الأفلام السينمائية في هوليود ، أحد المشاهد المؤثرة عندما إنتزع مسلحو داعش طفلة تبلغ من العمر عاما واحداً من يدَي والدها .!

قصة هذه الطفلة ، إن إحدى النساء أصيبت بحالة من الشلل بعد أن ضربها مسلحو داعش بآلة حادة ثم بكتلة اسمنتية ، وذلك لأنها رفضت أن يسلبوها أعز ما تملك ، ولكنها لم تسلم من بطشهم ، فقد أخذوا منها أطفالها ... النساء الأيزيديات اللواتي تمكن من الهرب من قبضة عناصر التنظيم ، عانين وضعاً لا يمكن لإنسان أن يتصور إنسان لفظاعته ، إذ يقال لي : إن بعض النساء لا تستطيع أن تستوعب أنها بطلة القصة التي ترويها .

نستنكِر إمتلاك الغرب لأسلِحة ننوية كلفت صِناعتها هالة من الجهد والمال والتكنولوجيا . في حين أننا نمتلِك فتاوىً لا تكلفنا سوى النطق بها ، ليحل الخراب والدمار الشامل في مكانٍ ما من هذاَ العالم !

...

اعتصر قلب أحدى الرفيقات قهراً ، حتى فارقت الحياة بعينين باكيتين ، صدمة على ما تعرضت له أختها " وضحة " التي نجحت في الانتقال إلى الصف الخامس الابتدائي في قرية القحطانية (تابعة لقضاء سنجار) غرب مدينة الموصل العراقية ، من اغتصاب جماعي على يد مجموعة من عناصر " داعش " في قضاء تلعفر شمال غربي العراق ..

تقول لي " لاش " أن لها أخت ، تعرضت للبيع ثلاث مرات ، الأولى مجانا منحت هدية من قبل قيادي داعشي يدعى " المرادي " وهو سوري الجنسية ، وقد باعها إلى " ابو جهاد " الذي لا أعرف أسمه الحقيقي ، وباعها بدوره إلى عنصر أخر في التنظيم .. ليبي الجنسية ، يدعى " بكر الشادي " بمبلغ قدره 15 :

ألف دولار أمريكي .

وأكملت تقول ، بيعت أختي للنحلي ، بمبلغ 10 آلاف دولار ، وإلى " داعشي " أخر ليبي أيضا ، يدعى زكريا وهما في العشرينيات من عمرهما .

وما بين مستعبديها الثلاث ، نقلت لها أختها عبر إتصال هاتفي أنها نقلِت إلى مناطق سيطرة " داعش " في سوريا ، بعد الموصل ، وقد تنقلت بين الرقة ، ودير الزور ، والبوكمال ، والميادين ، وهناك أجبرت على حفظ

القرآن وإقامة الصلاة ، بعد تجريدها من دينها جبراً تحت الاغتصاب والتعذيب .

يال هذهِ الحرب !
سقط من ذاكرتها
العديد من شبابنا ،
دون أن نسمع صرخاتهم ،
فنحن مشغولون ،
بتتويج القادة !

لقد إجبرن المباعات إلى سوريا على تعلم الكلمات الليبية والتونسية ، والسورية ، من التي علمهن إياها تنظيم " داعش " مع إجباره لهن على حفظ القرآن ، والتوحيد والصلاة ، ومن منهن ترفض أن تتعلم الدين الإسلامي ، كانت تتعرض للتعذيب والضرب المبرح وبالحجر ، على يد التنظيم ..

وتؤكد الأخبار أنهن تعرضهن للاغتصاب على يد مختلف جنسيات الجند الدواعش الذين يتواجدون في سوريا ،

وإجبرن على ممارسة أفعال فاحشة وضربن بشكل مستمر لو رفضن تلبية ما يجبرونها عليه من فضاعات ..

ليس في سنة الله الإكراه
إنما هي من سنن الشيطان
الداخل من اليمين .

كنت أسمع بمقتلهن ووفاتهن ، على يد التنظيم وكان السبب الأكبر لذلك القتل ، هو أما رفض الإغتصاب أو رفض الدخول في دين الإسلام .
ولم أكن أعرف أسمائهن حتى .! لأن تنظيم " داعش " غيرها كلها ، ومنحهن أسماء أخرى .
كثيرات من الايزيديات ، انتهت حياتهن ومتن في الموصل ، لا أعرف العدد بالضبط ، لكن كنت أسمع بمقتلهن وموتهن ..
نهتم كثيراً بوصف مجريات الأحداث
أكثر من إهتمامنا بفهمها !
وبالتالي نحن بحاجة إلى دراسة الحاضِر .
وليس دراسة التاريخ !!

صديقتان إقتادهما التنظيم سبيتان من قرية كرسي ، جنوب غرب سنجار بنحو 20 كلم ، إختارتا الانتحار سوية برمي نفسيهما من أعلى الجبل ، الذي كان يتخذه " داعش " مكاناً للرصد ، وأيضاً للإغتصاب .

وعن أماكن دفن الفتيات والنساء الايزيديات ، اللواتي يقتلهن تنظيم " داعش " وتسبب بإبادتهن في الموصل ، أخبرتنا " ناصرة " أنه يتم دفنهن في قبور بمنطقة القصور " قريباً من مركز مدينة الموصل ."

التقيت " بنيران " الأخت الكبرى لصديقتي ساريا ، وهي التي أغتصبت لثلاث مرات رغم كبر سِنها ، وقالت أنها تفكر بالهرب من قبضتِ " داعش " وفي اليوم التالي وجدت مقتوله خارج حدود القرية ، بعد أن تم كشف أمرها .

لا يوجد نبي ، جاء بالقوةِ وبالذبح .
الرسُل والأنبياء .. يأتون بالآياتِ وبالبينة
جوهر الدين أنه نظام جاء لـ :
تطهير النفس .. لا لتعزيز النفاق ..

توفيت أم ساريا وهي في أربيل بعمر 50 سنة ، إثر جلطة قلبية أصابتها بعد ما سمعت بتعرض إبنتها الكبيرة للقتل .

وقبل ذلك قد تعرضت إبنتها وهي بعمر تسع سنوات ، لاغتصاب جماعي على يد تنظيم " داعش " وقد تم بيعها ولا يعرف بالضبط أين هي الآن .

لم تتمكن ساريا يومها من الهرب من سجن القرية ، لقد قالت لي : أن قبل ليلة من هربها ، أنها لم تحتمل رؤية تنظيم داعش وهو يقوم بإعدام أكثر من أربعين شاباً من قريتها أمام عينها .

تقول الرفيقة " حنيفة " ، أنها تريد تحرير أختيها زينة وعمرها : 10 سنوات ، وليلى 20 سنة من قبضة " داعش " وأنها عرضت على التنظيم ، أن تتصل بوالدها وهو رجل ميسور موجود في الموصل ، وقد تم الإتفاق على ذلك عبر وسيط مقابل 40 ألف دولار . وغداً صباحاً سيتم الإستلام والتسليم ، وهي قلقة جداً حيال ذلك الأمر .

لقد آلمني كثيراً ، أن جارتنا " لينا " قد بيعت اليوم صباحاً إلى تاجر عراقي لا نعرف من هو وأين هو .!؟

...

الحدث الوحيد الفاصل في حياة حمزة ، هو أن يستعيد عافيته ، يستعيد حبيبته .
تلفظه السنين .. فهو اليوم يجدُ ، في محاولة لأن يستعيد نفسه ، عبر التمارين الطبيعية التي يمارسها في كل يوم .
فحزنه يطفو في الأحداق ، يريد أن يستعيد القدرة على النطق .. على المشي .. سئِم البقاء على ذلك الكرسي اللعين ، الذي يمنعه من اللحاق بنادية ومعرفة مصيرها .
إلا أنه قرر أن ينتصِر على المرض ، وأن يخرج من هذا القفص العميق .. لا سيما وأن الأخبار تأتي بأن أبناء الطائِفة الآيزيدية في نكال ، أستبيحت مُدنهم ، وسُبيت نسائهم .. وقُتل رجالهم .. !

...

ومن الأمور التي أثرت بنادية ، قصة " رؤى " التي وافق أمير التنظيم لها بأن تتصل بأختها " سالي " التي بيعت في سوريا ، لقد كلمتها اليوم وقالت لها أنها أجرت عمليتي إجهاض سِريتان داخل مستشفى في سوريا ، لجنينين بعمر شهر واحد نتيجة الاغتصاب ، وتقول أيضاً " لا أريد إنجاب أي طفل من " داعش " وقد ذهبت إلى المستشفى عندما ذهب الداعشي الذي يستعبدني إلى العراق للقتال هناك ..

وأكدت سالي ، أن هناك الكثير من المستشفيات التي لجأت لها المختطفات ، في سوريا لإجراء عمليات إجهاض الأطفال من الاستعباد الجنسي في براثن الدواعش ، الذين كانوا يعاملونهن مثل سوق بيع الأغنام وعرضهن للبيع مقابل أموال يحصل عليها الداعشي المستبعد للفتاة ..

الحضارة بمعناها الحقيقي ،
هي حضارة الأرواح .. وليس الأحجار .
والحِفاظ عليها هو من معلقات التاريخ .
وأدب الزمان .. وأخلاق الأمم .

ومن الفضاعات التي كشفتها لنا سالي من خلال شهادات شقيقاتها لها ، وعبر الفتيات والنساء الايزيديات الأخريات اللواتي يتم تحريرهن وتذهب إليهن للاستفهام عن مصير أخواتها . قيام تنظيم " داعش " بعرض فتيات المكون المختطفات للإيجار . إذ يحصل الداعشي على مختطفة لاغتصابها بالساعات مقابل حفنة من المال على الساعة الواحدة .

لا شك أن كل الأفعال التي يقوم بها أفراد هذآ التنظيم .. تنم على أنهم قوادون وليس متشرِعة ..
بل أنهم يفتقدون لأدنى إحساس من الغيرة والإنسانية .
حقائق صادمة تذكرها سالي لنا ، عن وجود مختطفات آيزيديات ، من اللواتي سباهن تنظيم " داعش " لدى جهات أخرى تستعبدها في الأراضي السورية ، غير الدواعش .. وهو أمر حصل في تركيا أيضاً .!!!

طلب منهم ..
أن يدفعوا الجِزية
فإطمئن قلبهم .. حين وصفهم ،
بأهلِ الكتابِ .. من لا كِتاب له !

الإرهاب لا كتاب له ...

...

وتقول سالي أيضاً نقلاً عن اللواتي إلتقت بهن في المستشفى ، بأن الكثير من المختطفات الايزيديات يتم نقلهن من سوريا إلى تركيا ، من قبل تنظيم " داعش " والعمال الكردستاني ، وهناك يتم إقناعهن وغسل أدمغتهن بعبارات " فجري نفسك وستذهبين إلى الجنة " بارتداء أحزمة ناسفة وتنفيذ عمليات إرهابية وانتحارية في الأراضي التركية .!

ولعلي بتركيا .. لها دور غامض وغير مطمئِن حيال ما جرى معنا . !

بل أن الحدود التركية يجب أن تعتبر آمنه ، بعكس العراق وسوريا ، إلا أنها لم تكن كذلك . بقصدٍ أو بغيرِ قصد . لا أعرف .!

عموماً ، أخبرتها سالي أيضاً ، أن بنت عمها بعدما تم تهريبها بوساطة المهربين من سوريا إلى تركيا ، ومنها تمكنت الأخيرة من دفع ثمن حريتها بالعملة الصعبة ، أنها شهدت هرب الكثير من عناصر " داعش " إلى تركيا ، ونقلوا معهم أطفال الايزيدية المختطفين لديهم منذ يوم الإبادة ، ونساء وفتيات أيضاً ، وألمحت سالي إلى أن الكثير من المختطفات والأطفال الايزيديين ، حالياً في تركيا عالقين ، يرتهنهم تنظيم " داعش " ومن بين الأطفال هناك ، طفلة بعمر الورود ولا أحد يعرف أسمها وأسم أبويها وأخوتها ، ومن المؤكد تمت إبادتهم على يد التنظيم ..

وكررت سالي ، أن التنظيمات الإرهابية ، تُهرِب الأطفال والنساء والفتيات الايزيديين العراقيين من سوريا إلى الأراضي التركية ، لتنفيذ عمليات إرهابية ، فيها معبرة لو أن تركيا تعاونت معنا لما حصل ذلك . !!

ديوجين اليوناني ،
كان يمشي نهاراً حاملاً المصباح !
وحينما سُئل عن سبب ذلك .
قال : أني أبحث عن بشر ..!!

كان لإتصال سالي مع أختها الكثير من الحديث والأخبار التي أخرجتنا من عالم السجن إلى عالم آخر ، لنا فيهِ إخوة وأهل وأقرباء ، قد جرت عليهم الكثير من المصائب ..
في قرية ضمن منطقة سيبه في قضاء عقرة التابع لمحافظة دهوك ، في إقليم كردستان ، تسكن روان وقد تمكنت من الإتصال مع التنظيم ، والمساومة معهم لإخراج أختها الصغيرة السجينة معنا وهي سارة .
وقد جلبوا التلفون لها وكلمتها وهي بيننا ، وقد أخذت التلفون منها لأستفهم عن ما تريد بالضبط وقد أخبرتها أن أختها بخير وهي بيننا الآن .
" روان " حاليا مع أمها التي مرض قلبها بحسرة مؤلمة من فجع ما حل بصغيراتها ، اللواتي بقين بين أيدي داعش لأشهر ، وقد جمعوا مبالغاً من المال ، ويريدون

تحريرهن بأي ثمنٍ كان ، إلا أن التنظيم أخبرهم بوجود " سارة " فقط ولا علم له بمكان زون وهيما .

في ختام الحديث مع روان ، قالت لي الفتاة الايزيدية المكافحة لتحرير شقيقاتها من أعتى تنظيمات الإرهاب :

إن كل شقيقاتها تعرضن للاغتصاب على يد تنظيم " داعش" بحجة أنهم أتوا لتطبيق الإسلام ، وهو ما نقله بعض الناجين من التنظيم ، وهذا ليس الإسلام الحقيقي ، مطلِقة صرخة حملت عبارة " نحن عراقيون " ، والبنات الايزيديات شرف لكل العراق والعراقيين ، والعرب عموماً هم أهلنا الغيارى ..

لماذا لا تساعدوننا ؟

في نداء وجهته إلى الحكومة العراقية ..

تقول لي روان أن وحسب الأرقام التي كشفها مدير مديرية الشؤون الإيزيدية في دهوك : " عيدان الشيخ كالو " في تصريح خاص لمراسلة " سبوتنيك " في العراق ، في وقت سابق من الأحد ، 4 فبراير شباط الماضي ، أن العدد الكلي للناجيات والناجين الإيزيديين الذين اقتادهم تنظيم " داعش " في مطلع أغسطس آب 2014، سبايا ورهائن ، بلغ (3259) شخص بينهم أطفال .

وأضاف كالو ، أن عدد الإيزيديات الناجيات ، ضمن العدد المذكور ، بلغ (2076) فتاة وامرأة ، أما الذكور الناجين وصل إلى (1183) شخص ..

وبَين كالو ، أن العدد الكلي للإناث والذكور من المكون الإيزيدي الذين اختطفهم تنظيم " داعش " عند تنفيذه للإبادة بحق المكون عام : 2014، بلغ (6417) شخص من بينهم أطفال ونساء وشيوخ .

أما عدد المختطفات والمختطفين الإيزيديين القابعين في مخابئ وقبضة " داعش " الإرهابي الذي مازال يتاجر بهن وبهم في أسواق النخاسة التي أفتتحها في الأراضي العراقية ، وكذلك في تركيا ، بلغ (3158) مختطفة ومختطف ..

ونوه مدير مديرية الشؤون الإيزيدية في دهوك ، في ختام حديثه ، إلى أن الإناث الإيزيديات اللواتي مازلن في قبضة " داعش " حتى الآن ضمن العدد الكلي المذكور ، عددهن (1472) مختطفة ، أما الذكور الباقين عددهم (1686) مختطف ..

...

الأخلاق فِطرة لن تدُب فيك
لمجرد دخولك إلى الدين ،
لو لم تكُن تملِكها أصلاً ..

وقالت الفتاة روان البالغة من العمر 17 عاما ، إن المسلحين حاصروا القرية ، في الثالث من آب أغسطس عندما كان مئات السكان يحاولون الهرب باتجاه جبل سنجار ، فأعتقلوا الرجال قبل إعدامهم ، فيما وضعوا النساء والأطفال ، في سيارات نقلتهم إلى قرية أخرى في سنجار خاضعة لسيطرة داعش ، ثم إلى قضاء البعاج في نينوى حيث بقوا لساعتين تقريباً ، ومن هناك إلى مدينة الموصل التي سيطر عليها التنظيم في حزيران يونيو الماضي .

وفي الموصل ، احتجز المسلحون ، كما روت لها إبنة خالها ، النساء في قاعة كبيرة ، وبعد أسبوع فصلوا المتقدمات في السن عن الفتيات ، وفصلوا الأطفال فوق تسعة أعوام عن أمهاتهم ، بحجة أنهم يريدون تعليمهم تعاليم الدين الإسلامي والقرآن .. وأن زعيم للمسلحين ، أبلغهن بأن الوقت حان ليدخلن الإسلام ، وأن يتم تزويجهن لعناصر داعش .!

نقلت الفتيات والشابات إلى " قصر كبير جدا " حيث ظلت الشابات المختطفات ليومين أو ثلاثة ، قبل أن يتم فصل الفتيات والشابات دون سن الـ20 من العمر .. عن المتزوجات واللواتي في العشرينيات والثلاثينيات .

لم يعد الجحيم مجهولاً !

فهو يشبه هذآ العالم الذي نعيش فيه ..

أعقبت عمليات الفصل هذهِ ، زيارة مسلحه قالت إنها لأمير أو زعيم للمسلحين ، أبلغهن بأن الوقت حان ليدخلن الإسلام ، وأن يتم تزويجهن لعناصر التنظيم ، مهدداً إياهن بأن رفض الإسلام يعني الموت .. فما كان أمام الفتيات إلا الرضوخ ، فأعلنّ اعتناقهن الإسلام .!

.. القتل ليس قربة من قربات الله

كما أن الدفاع عن النفس والعرض والأرض وما أتيح ، لا يعد من إستحداثات الجهاد .. إنما هو طبيعة بشرية تتفق مع التشريع ولم يكن الجهاد في سبيل الله يوماً إلا مشروعاً لدفع الضرر عن الناس لذآ سُمي بالأصغر .. والأكبر منه عتِق رقبة ..

كان على نادية أن تكسب الوقت . أن تكسب الأمير ، أن تضحي بأغلى ما تملك من أجل أن تُبقي على طفليها معها

. فكانت أكثر النسوة مطيعة وهادئة ، وقد إستغلت فرصة رضا الدواعش عنها ، بتتبُع أخبار الفتياة الآيزيديات ...

، تتابع روان الأيزيدية كلامها لي ، كانوا يصطحبونهن إلى منازلهم ، مشيرة إلى أن كل الانتهاكات البشعة والتصرفات الوحشية التي لا يمكن تصورها تعيشها النساء والأطفال تحت داعش ..

وبعد أيام ، جاء دور إبنة خالي ، لمرافقة أحد المسلحين .

وقالت إن رجلاً في الخمسينات من العمر قدُم من مدينة في أطراف بغداد لم أتعرف على إسمها ، اختارها وصديقتها وأخذهما معه إلى مدينته في رحلة استمرت يوما كاملا ..

لم تستطع روان الخوض في تفاصيل وطبيعة الممارسات ، التي أرغمت على القيام بها إبنة خالها في تلك المدينة لبشاعتها ، لكنها كشفت أنها وصديقتها أجبرتا على العمل كخادمتين ، وأن المسلح كان يعتدي عليهما يومياً ، ولم يسمح لهما بالأكل ، إلا وجبة واحدة في اليوم وشرب الماء مرات قليلة .

وبعد فترة ، زودهما المسلحون بهواتف نقالة وأمروهما بالاتصال بأهليهما وإبلاغهم بأن حالهما أفضل لأنهما أسلمتا وكذلك لأنهما مع المسلحين ..

أجبر المسلحون الشابة وصديقتها على نقل رسالة إلى أهليهما مفادها :

" إما أن تدخلوا الإسلام أو تواجهوا الموت "

وبعد تسعة أيام إغتنمت إبنة خالها ، وصديقتها فرصة غياب المسلح الذي أبلغهما بأنه سيذهب للقتال ، ولن يعود إلا في اليوم التالي ، ونجحتا في كسر الباب والفرار من المنزل مرتديتين عباءتين أخفيتا هويتيهما الحقيقية عن المسلحون ، الذين وصفتهم بالوحوش ، كانوا منتشرين في كل مكان ، لكن بمساعدة الله والعرب الخيرين ، وصلتا إبنة خالي وصديقتها إلى بغداد حيث ساعدتهما عائلات عربية ، فأرسلت حكومة كردستان طائرة خاصة أعادهمت الى اربيل ..

يدفعون حياتهم ثمناً ،
لِمقابلةِ حورية ،
وليس لِمقابلة الله .!!

تخبرني روان أن قصة إبنة خالها قد تصدرت الأخبار العالمية ، وقال " دخيل شامو " ، الصحافي العامل في إذاعة صوت أميركا والمتابع لأوضاع الأيزيديين ، في اتصال مع موقع " الحرة " إن روايات النساء اللائي سبين ونجحن في الفرار ، تؤكد أن داعش ارتكب المجازر

، وانتهك أعراض الفتيات ، وعرضهن للبيع في أسواق ، وقام بممارسات لا تصدق في هذا العصر ، حسب تعبيره . وقال إن سبي النساء من الأمور الطبيعية في شريعتهم التي لا تعبر عن شريعة الإسلام ..

ووقع في قبضة داعش أكثر من أربعة آلاف من النساء والأطفال . وقال " دوملي " إن لدى المنظمات الحقوقية أسماء أكثر من 3500 من المختطفات والأطفال ، وإن هناك جهوداً لتتبع شؤونهم وأحوالهم لمعرفة أين استقر بهم الوضع في المناطق الخاضعة للتنظيم ، في الموصل وتلعفر والبعاج في العراق ، وفي الرقة ودير الزور والشدادي في سورية ..

...

التاريخ المتوفر بين أيدينا فحسب ،
كُتب بالدم .. لا بالقلم
الغريب أن من كتبه مدان .
ومن أرخوه .. وجددوه ..
أرخص من سفاحيه .

لقد كانت إحدى الآيزيديات السبيات تخفي تلفوناً معها ، وقد فوجئنا بالخبر ، ولكنه كان بدون شريحة ، وتقول أن أحد الدواعش سلمها إياه خفية ، وقال لها إستمعي إلى الراديو من خلاله ، ولم نكن لنعرِف السبب وهل أنه رجل مخابراتٍ متخفي بينهم .!

المهم أننا كنا وبعد نوم الدواعش ، ننهل الأخبار من ذلك التلفون ، الذي كلما إنتهى شحنه ، أعاد شحنه لها ذلك الداعشي غريب الأطوار . !!

والليلة نحن نستمع للأخبار دون أن يحس بنا أحد ، كان هذآ الإستماع ، منفذاً ومتنفساً لنا ، وقد أعلن في الأخبار أن : عشرات النساء الأيزيديات اللائي وقعن في قبضة مقاتلي داعش في العراق ، أرغمن على اعتناق الإسلام قبيل بيعهن بغرض تزويجهن قسراً لعناصر التنظيم في سورية .

وأوضح المرصد أيضا أن داعش ، قد وزع على عناصره في سورية ، نحو 300 فتاة وسيدة أيزيدية ، ممن إختطفن في العراق على أساس أنهن سبايا من غنائم الحرب مع الكفار ، وأشار إلى إقدام مقاتلين على بيع مختطفات لعناصر آخرين من داعش ، بمبلغ وصل إلى 1000 دولار أميركي للأنثى ..

داعش يجاهر بأعماله المهينة للنساء بين البيع والرجم .
وانتشر فيديو في الآونة الأخيرة يظهر فيه مسلحون ، يبدو أنهم ينتمون لداعش وتظهر فيه أعلام التنظيم السوداء ، يتحدثون عن سوق سبايا يعرضون فيه بيع وشراء نساء أيزيديات . في الفيديو قال أحد المسلحين إنه مستعد لمقايضة " أيزيديته " بمسدس .!
تبرُز القِطة ثم تستدير لتغطية فضلاتها ! بينما يلعب المتطرِف برأس أخيهم الإنسان لعبة كرة القدم .. لذآ كان على دارِون أن يقول : بأن أصل القرد إنسان وليس العكس !! بالعودة إلى النبل والخلق الرفيع في طبيعة بروز القِطة . !!
وقال دوملي في اتصال أجراه معه موقع " الحرة " من خلال تتبعي اكتشفت أن هؤلاء مرضى نفسيون لأن من الصعب جداً أن يكون شخص مجاهد في سبيل الله ، وفي نفس الوقت يأخذ بنت عمرها 15 عاما كسبية إلى منزله ، وبين أفراد عائلته ويعاملها كغنيمة من غنائم الحرب .!
وأضاف أيضا أنه وغيره من المتابعين لما يجري يحاولون معرفة طبيعة الظروف التي تعيشها المختطفات ، وما يعانين منه ، مشيراً إلى أن هناك أربع مجموعات من النساء والأطفال في قبضة داعش موزعة في أربع مناطق ..

وأشار إلى أن وضعهن مزرٍ للغاية ، إذ ألقي القبض عليهن في عز الصيف ، وقد جاء فصل الشتاء من دون أن توفر لهن الملابس الكافية ، والغذاء ، فيما هناك تراجع في الاهتمام بتوفير المستلزمات الخاصة بالأطفال والنساء ، كما قالن الأسيرات الفارات ..

وأشار المصدر إلى أن عدة نساء نجحن في الفرار من قبضة داعش ، في الآونة الأخيرة ، بجهود بعض الخيّرين ، أو بمساعدة قصف طائرات الجيش العراقي والتحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، لبعض مواقع المقاتلين ، ما أتاح فرصة لهروب عدد من النساء . وكانت عمليات قصف طالت مناطق في جنوب سنجار ، فرصة لإفلات العديد من الأطفال والنساء .

...

إن الخوف من ولوج فِكرة دينية منحرِفة إلى قلبِ متطرِفٍ .. يضافي الخوف من إرتطام كوكب هاديس بكوكب الأرض .

بداية الشهر الماضي خاصة ، إضافة إلى أن بعض النساء يجازفن ويهربن من المنازل حيث يتم إحتجازهن ، فأحيانا يلقى القبض عليهن مرة أخرى لتتم إعادتهن ، وأحيانا يصلن إلى بعض العائلات العربية التي توفر لهن الحماية

إلى حين نقلهن بعيداً وإيصالهن إلى أهاليهن ، وفق ما أوضح المصدر ..

وقال دخيل شامو إن هناك من يتاجر بمأساة المختطفات الأيزيديات ، مشيراً إلى ورود قصص عن شراء أشخاص البنات في أسواق في الموصل وتلعفر ، ثم الاتصال بأهاليهن للمطالبة بمبالغ مالية مقابل إيصالهن سالمات ..

وهناك لجنة خاصة في إقليم كردستان تتبع شؤون النساء اللائي تحررن من داعش ، وتحاول توثيق أوضاعهن ومعرفة إذا ما كن بحاجة إلى علاج صحي حتى يتم توفيره كاملا ..

وإذا كن بحاجة إلى علاج نفسي ، فهناك طبيبة خاصة كلفتها مديرية صحة دهوك ، إلى جانب وحدة خاصة لتوفير العلاج الصحي والنفسي ، فضلا عن لجنة توفر للناجيات بعض الدعم المالي ، الذي خصصته حكومة الإقليم حتى يتمكن من ممارسة حياتهن بشكل طبيعي من جديد .

...

عِش هندوسياً بروحِ غاندي ،
على أن تعيش مسلماً بقلبِ بن لادن .
وإن شئت الكمال ، فكن مسلماً
سلمت الناس من يدهِ ولسانِه ..

كم هي أليمة هذهِ الأيام ، وربما لكون أمير قرية تل البنات إنجذب لي . قد نجوت من بيعي من مكانٍ إلى مكان ، ولم أكن لأحضه بوجود حمزة وشاريا معي ، لذآ كان عليَ أن أسايره وأسايسه رغم عني .

في الشهر السادس من السبي ، أخذني آمرهم إلى مكان كثبانه الرملية مرتفِعه ، وقال أنه يفضل إغتصابي هنا ، فقدت الوعي في منتصف الممارسة ، وصحوت وأنا بين يدي شاريا التي أبلغتني أنها لا تعرِف شيء عن مكان ولدي حمزة ، وأنهم قد أخذوه قبل قليل لا تعرِف إلى أين . كان القمر مرتفعاً جداً ، حاولت النظر من الشباك إلى تحركات الملثمين فلم أتمكن من الرؤيا ، لبثت ليلتان مع شاريا وفي الثالثة ، كنت عند الأمير أبو الناصر صباحاً .

- **أين ولدي حمزة ؟**

أرجوك أخبرني ..

أرجوك رده لي .

- **تقاسمنا الصيد لك واحد .. ولنا واحد .**

فضلنا إسم حمزة .. على إسم شاريا ..
فتركناها لك .
- وأين ولدي حمزة الآن ؟
- يتعرف على الله ..
ويتنكر لعبادة الشيطان .
نادية ..
لقد طلبك أحد رجالي الليلة وسيأتي ليأخذك ،
وأحببت أن تعلمي بأنك ستصبحين جارية له ،
فأنا قد أسافر .. وسيتولى هو إمارة سنجار ،
ويجب أن تعرفي أن الأمير أبوقتادة رجلٌ صارم ،
فلا تمتنعي عنه ..
وعليك أيضاُ أن تُستسلِمي له .. وتعلمي إبنتك الإسلام ،
وعليك أيضاً أن تختاري لها إسماً آخر ،
غير إسم شاريا الذي لا معنى له .
- موافقة ..
على كل ما تطلب ..
لكن عليك أن تعيد إلي ولدي ، فوراً .
- سترينه كل يوم ..
ولكنك لن تتمكني من تربيته بعد الآن .
فهمت . خذوها من هنا ...

لم أكن أقطن إلا مع إبنتي وكنا نقطن بخوفٍ وقلق ، وكنت دائماً ما أحاول الهرب ، على الأقل ، رجوعاً إلى منزلي الذي تركت فيهِ زوجي سوزدار ، ولا أعلم كيف هو الآن ، هل هرب ؟

أم إنهم أمسكوه وقتلوه ؟

وهل من الممكن ان يكون بخير طول فترة الستة اشهر الفائتة .!!

وأظن أن حمزة قد أقتيد إلى سوريا وهو ليس في سنجار كما قال لي أميرهم .

قوية كانت القيود ، ولكنها ليست أقوى من فراق حمزة وسوزدار ، ما من أحد صار يعرِف عن أحد منا ، كان يجب عليَ أن أرضخ لبعضِ أهواءهم وأوامرهم ونواهيهم ، فقط لأتمكن من الحفاظِ على شاريا ، فهي المتنفس الوحيد الباقي لي هناك ...

الأديان بمفهومِها الفقهي تحملُ عبثاً واضحا على المرأة ، لأنها تصاهِر بمفهوم الغلبة .. لا التكملة !

وعلى هذآ قام العُرف بالتدريج الحضوري ..

لا للوجودي ..

ما يفضي إلى تيهها .. إلى نفيها ..

وبالتالي .. إلى توحشها .

حينما تغِب عن الذات فتكون في صورة تنافي الذوق والتشريع ..

ما زنت عاقِلة إلا بحد القرف ..

لأنها منصهرة فنياً بقدر الفراغ ..

لقد علِمتني هذهِ المحنه ، أن الحقد والصراع بين الطوائِف لا يقود إلى شيء سِوى الرعب ، والموت والجنون ، لقد سمعت عن قتال الطوائف في التاريخ وحروبهم ، لكني لم أجد لها مبرراً حسناً ، سيما وأني اليوم ضحية هذآ النوع من التهورات ، كيف يدفع حقد أحد على الآخر إلى القتل ، والإغتصاب والتنكيل والإجرام ، القتلى من كل الأطراف هم بني آدم .. بني البشر .. يتركون خلفهم الأرامل والناعيات ، يتركون خلفهم يتيم يكبر دون أن يسمع صوت أبيه ، ليس من الحكمة والحق أن يشن غزو ، أو تشن حرب تحت أي عنوان أو تسمية كانت ، منذ ستة أشهر ، لم أنم ، ولم أرقد بسلام ، في النهار نتجول كالقطيع يقودنا راعٍ ، وفي الليل ، نغتصب كالشاة التي يفاجئها ذئب ، وبعد أن يشبع من دم شاته ، يتركها مبلله مبرجة بدماءها ، أحياناً ترفس ، وأحياناً أخرى لا تسفعها القوى حتى على الرفس ، فتخمد ميته ، لقد أمست القرى كمضارب البدو ، الخيل تدور من حولها ، الملثمون يعُدون لبناء إمبراطورية يظنونها عظيمة ، كان حديثهم عن دولة

قادمة للإسلام ينم عن أملٍ كبير ، لاشيء يحد حلمهم وسيطرتهم ، كانوا يهرعون لركوب السيارات الجيب مع سماعهم لخبر وجود مجموعة تخرج أو لم تدخل في السيطرة ، كنت أتامل حالهم وأحوالهم ، وكنت أكثر تأملاً لنجوم السماء الشاردة ، وكنت حين أشاهد نيزكاً نازل أحدثه وأطلب منه أن ينزل علينا ليقتلنا جميعاً ، كان مثل هذآ الحديث مع نفسي يساعدني على التعب والنوم المفاجئ .

كبيرة هي وعظيمة هذهِ المأساة التي عشناها ، تحت عنوان سبايا داعش .. مسيرة النساء الإيزديات الطويلة هي حزمة من المصاعب التي تعرضنا لها منذ احتلال سنجار في العراق .

اليوم يجب أن أدون للعالم بعض الشيء ، عن المأساة ، بدأت بالكتابة وكتبت :

منذ سقوط الموصل بيد داعش التي تبعد مسافة 120 كيلو مترًا شرق سنجار ، إنهارت الفرقة الثالثة للجيش العراقي ، التي كانت تتخذ من سنجار مقرًا لها .

إذن لا حماية للايزيدين .!

وبعد إحكام داعش قبضته على الموصل ، قام بإطلاق سراح سجناء بادوش السنة ، وقتل 600 سجين من سجناء بادوش الشيعة ، وفرّ نصف مليون مدنيّ نحو

شمال سنجار وشرقها ، ولم يكن إطلاق داعش للسجناء السنة في بادوش شيء للدلاله على أن السنة معهم ، بل هو طُعم لكسب جمهور كبير من ساكني تلك الديار ، أراد أن يحدِث الفتنة الطائفية بين أبناء الوطن الواحد ، بين السنة والشيعة ، وبين السنة والآيزيديين والصابئة والمسيح أيضاً .

وفي غضون أيام وقع ثلث العراق تحت سيطرة داعش الإرهابيّ ، أما سنجار ، والتي يبلغ عدد سكانها نحو 300 ألف نسمة ، لم يبقَ لها سوى طريق يربطها بمناطق آمنة في كردستان العراق . لكن الطريق خطيرة ، عندما هاجم داعش سنجار ، فر أكثر من مائة ألف شخص إلى الجبال ، أما الذين لم يحالفهم الحظ بالفرار ، فقد حوصروا وتم إعدامهم ، وإلقائهم في حفر ، ومات البعض بسبب الجفاف ، وظهرت الى العلن قضية سبيّ الإيزديات ..

بمجرد أن تؤمن !
ينسى التاريخ ،
أنك كنت كافر ،
وأنه كان يلعنك !

فقد تمّ سبي ما يقارب 6400 شخص ، معظمهم من النساء والأطفال ، وقد نقلوا إلى السجون والمعسكرات التدريبية ، ومنازل المقاتلين شرق سوريا ، وغرب العراق ، حيث تعرضوا للضرب والتعذيب والبيع . وبحلول حزيران من العام 2016 لاذ حوالي 3000 طفل وامرأة بالفرار ، في حين لم يتمكن حوالي 3000 آخرين من الهرب ..

لم تدرك النساء الإيزيديات في سنجار أن مقاتلي داعش يقومون بعمليات خطف جماعية مخطط لها بغرض أخذهن كسبايا .!

بدايةً . تم نقل النساء إلى مواقع مجهزة ، ويسلمن إلى مقاتلي داعش في سنجار ، وقال تقريرٌ صادر عن لجنة الأمم المتحدة ، أن الرعب دبّ في أوصالهنّ كلما وصلت إلى أسماعهن صوت خطى أقدام عناصر التنظيم وهي تقترب لفتح الأقفال ، وقد أقرت الامم المتحدة بأن داعش ارتكب بحق الأزيديين جريمة إنسانية .

...

بعد القاء القبض على النساء إحتُجزن ، وتم تسجيل بياناتهنّ بطريقة ممنهجة ومنظمة . ومن ثم عرضهن للبيع في الأسواق ، إما إلكترونياً أو في أسواق مخصصة أو في السجون .

كما بيعت الفتيات عبر وسطاء ، وكانت السبايا تقدم كهدية لمقاتلي " داعش " الذين اشتركوا بالهجوم على سنجار ، وفيما بعد تم نقل بعضهن إلى سورية ، وفي عام 2016 ، أصبحت الرقة ، التي تقع 370 كم غرب الموصل رسمياً عاصمة لداعش ، حيث توافد الأنصار من جميع أنحاء العالم للانضمام للتنظيم ، إضافة إلى النساء اللواتي قدمن من سنجار ..

كان يتم تصوير السجينات الايزيديات وتمنح الاسيرة رقم العبدة (كذا) وطبع الرقم فوق صورتها . اذ كان هناك حوالي 500 امرأة في السجن ..

وكانت الإيزيديات محتجزات في تجمّع يتراوح عددهم بين 100 و200 قافلة ، للمقاتلين حيث كبلت النساء والفتيات بالسلاسل كالحيوانات ، وراح الرجال يتناوبون عليهن بالضرب والاغتصاب ..

...

أفلح الجاهِلون ،
حينما أمست الحقيقة سبباً لِتيه البشرية ،
وعثرةً في طريق التعايش والسلام .

مع الاشارة الى أن معظم المهربين الذين عملوا على إنقاذ الأيزيديات ، هم رجال أعمال أيزيديون . إذ كانوا يقومون بشراء النساء لتحريرهنّ من مقاتلي " داعش " الذين يحتجزوهن أو من أسواق الرقيق أو المزادات عبر الإنترنت .

وازدهرت السوق السوداء في البيع والشراء إذ كان الإيزيديون يفضلون إنقاذ النساء والأطفال المحتجزين ، بدلاً عن استعادة المناطق . فوفقًا لـ داعش : الرقّ شرف في الشريعة الإسلامية ..

علما أن معظم الإيزديين يتقنون الكردية . والايزيديون هم جماعة دينية يعيشون شمال العراق . يبلغ عددهم أقل من مليون شخصًا في جميع أنحاء العالم .

وعلى مرّ التاريخ تعرض الإيزيديون للاضطهاد على يد الحكام الذين يدعون القرب من الإسلام ، الذين اعتبروهم كفارًا وأمروهم باعتناق الإسلام ..

وتشمل طقوسهم الدينية زيارة الأماكن المقدسة وهم يشاركون في التعميد والأعياد ويرددون الترانيم ويروون

قصص المعارك التاريخية والأسطورية التي قامت دفاعًا عن الدين .

وقد ساهم التهجير خلال عهد صدام حسين والعقوبات الاقتصادية على العراق بإضعاف الإيزيديين ، فالديانة والهوية الإيزيدية منغلقة على نفسها ويتناقلها الأجيال من خلال الحكايا والموسيقى .

وقد تمكّن الكثير من الإيزيديين ، من الهرب خلال الأيام القليلة الأولى ، لكن مع قلة الدعم الدولي والحكومي ، شعرت العوائل باليأس وتخلّيّ العالم عنهم .

...

هل تبحث عن الحقيقة لذلك الجالس ؟

أم تبغي وصولها لمرحلة القيام . !

شتان !! نجد ونبتذِل أشياء شاسعة ومستديمة بحثاً عن الحقيقة بالرغم أنها أكثر من مألوفة لدينا !

وباختِصار نحن واقعون تحت تأثير الكِتاب والطائفة ، ونعمل كل ما بِوسعنا لغلبة الآخر ..

لا لتحصيلها . !

...

بعد سنينٍ عِدة من عودةِ حمزة إلى البيت ، وسعي أهله لمعالجته عبر التواصل مع بعض الأخصائيين ، يستعيد حمزة القدرة على النطق والمشي ، وبدى في صحة جيدة ، وقد كان أول شيء يطلبه الجميع منه هو الزواج بعد هذآ العمر ، الذي مر عليه ، إلا أن حمزة ،
يرفض الأمر .. !
- ولدي حمزة ...
لقد مرت سنينٍ طوال وأنت على الفراش ..
على الكرسي .
وقد آن الأوان لأن نفرح بك .
ونرى عيالك ؟
- هذهِ الحياة حدودها وهمية ،
وهي أرخص .. في أن نفكر في ملذاتها .
- ماذا تقصد يا ولدي ؟
- أمي ..
ألا ترين أن العِرض قد أهين !
والأرض سلبت والكرامة .
ونحن قاب قوسين أو أدنى من سلب الوجود .
- أفصِح عن ما في قلبِك .
- أريد أن ألتحق بالجيش .
أدافع عن عرضي وبلدي .

ليس في هذهِ الحياة ما يستحق العيش من أجله
أكثر من الوطن .. أمي .
أدعوا لي ربك بأن يقف إلى جانبي ..
ويحقق أمنيتي .

مع بزوغ الفجر يتطوع حمزة في الجيش العراقي ، لمعرفته بحادثة سنجار والآيزيديين ، فيؤخذ في دورة سريعة في معسكر جرف الصخر ، ومن ثم يُنسب على جهاز مكافحة الإرهاب ، وكانت جُل أمنيتهِ أن يكون له دور في تحرير بلدهِ ، لا سيما ناحية سنجار التي فيها نادية والتي لا يعرِف أي شيئ عنها بعد كل هذهِ السنين .

التاريخ الديني مساحة غوغائية كبيرة ، كُل من في رأسهِ فكرة

كتبها ونسبها إلى أحدهم وكأني ببعض رواة الأحاديث : (علماء روبوتيك) يرمون العناكب الفضائية في محرك البحث " جوجل " كما في روايات سيف بن عمر التميمي الذي كان شغله الشاغل إضائة عنكبوتة بني تميم .. وهو ما لا يعني إبخاس حق بني تميم في أنهم القبيلة الأكبر والأعرق حضارياً في تاريخ الإسلام وما قبله .

...

لقد قرر حمزة التطوع بالجيش لتعود السنين بهِ إلى حدود الموصل ، بعد أن تم تحرير الكثير من الناطق المحاذية لها ، بمساندة دولية ومساندة الجيش العراقي والبيش مركة ، حمزة يعُد الدقائق وليس الساعات ، لساعة الصفر التي تبدأ بها عملية تحرير الموصل ومنها إلى سنجار وقراها ، إلا أن الأمر ليس بالهيِن ، والضباط والمراتب يعدون العدة والخطط لذلك ، وهم متأنين كثيراً وليسوا في عجلة ، فهم ينظرون للعملية من جانب عسكري وليس من جانِب وجداني .

...

منظومة التأريخ والفقه قامت على نظام التأسيس ، بينما العرف النبوي جاء متمماً . مما جعلها أبلغ في الوجود . وعن ذلك كانت أسس الأقطاعية الدينية التي تكلمت بإسم النبي أشد وطئاً على الناس من أكبر نظام إقطاعي في التاريخ .

فالظلمة يقتلون الناس بتهمة الخروج على القانون .! غير أن الفقهاء يقتلونهم بتهمة الخروج على الله . !!

كان هناك الكثير من أتباع الأديان والطوائف يروجون إلى داعِش بأنها بادرة لنهاية العالم ، وقد بدؤوا للترويج لذلك عبر ربط الحالة بروايات من هنا وهناك ... !

نستعد للعذاب بالقراءة له ..

فظيع أن يكون لنا
شعور بنهاية الطريق ..
نهاية القرن ..
نهاية الحياة ..
بعث ونشور وسراط .

تغير كل شيء مع بدايات عام 2015 . حيث بسط تنظيم داعش كامل سيطرته على الرقة ، وجعل من المدينة مركز قيادة وسيطرة التنظيم ، وعمد إلى ترسيخ سلطاته وبمنتهى العنف . وبالنسبة لمن يقاوم ، أو من يُعرف عن عائلته أو أصدقائه صلات أو اتصالات مشبوهة ، كان يتعرض للاعتقال ، والتعذيب ، أو القتل .

- لقد أصبحنا سبقاً صحفياً لجميع مراسلي العالم !
الكهنوت لن يجد ما يحقق له وجوده .
إلا من خلال ما بحوزتهِ من تاريخ ورواية ،
وهذآ ما يجعله نافراً من القلب ،
بل أن العاطفة في حاكمية الدين ،
متوحشه مع الحياة في العرف الكهنوتي ..!
تفقِد نادية الأمل في إيجادِ ولدها حمزة ، بعد أن علِمت أنه أُخذ إلى الرقة ، في سوريا ، وأدخل في مدارس خاصة تابعة لتنظيم الدولة ، فتقرِر الهرب عبر خطة تفكر بها .
- أيها الأمير ..
إسمح لي بالعودة إلى منزلي فهو مهجور ،
وأنتم لم تستفيدون منه .
وأعدك بأني سأكون رهن طوعِك ،
في أي لحظة تزورني بها إلى البيت .
- لا مانع لدي من ذلك ..
عودي لمنزلك ..
لكن إعلمي أنك تحت أعيننا ،
وأن القرية محاصرة بالجند ،
ونحن قوم لا نرحم من يحاول الهرب .
- لا لن أفكر في ذلك ..
كل ما في الأمر أني تعبت من وجودي مع السبايا ،

وأريد أن أستقِل وأرجع لمنزلي .

- **أخبريهم أني قبلت ذلك .. إذهبي .**

إستجاب الأمير الجديد لطلب نادية ، وسمح لها بالعودة إلى منزلها .

تدخل نادية وشاريا المنزل ، فتقف عند الفراش الذي يغطي الحفرة فتنادي على سوزدار الذي يخرج لها فرِحاً باكياً ، معانقاً لها ولشاريا .

- **أين ولدنا حمزة .**
- **لقد سفروه إلى سوريا !**
- **سوريا ! ؟**

أيها اللعناء الغزاة تباً لكم .

خَر سوزدار جاثياً باكياً عند ولده ، فأجلسته وطلبت منه أن يصمد وأن يجد له ولها ولإبنتهما منفذاً للهرب .

- **كيف قضيت الوقت هنا ؟**

وكيف عشت طيلة فترة الأشهر الستة الماضية ..

وأنت هنا لوحدك . ؟

- **تلك حكاية طويلة يا نادية ..**

عموماً ..

حين يحل الليل سأحاول سرقة إحدى سياراتهم الجيب ، هم في الليل يتسكعون كثيراً ويكونون أكثر غفلة .

- **ولكن علينا أن نكون حذرين .**

وقد يزورنا الأمير في أي لحظة .

...

يطلب حمزة من الضابط المسؤول عنه الذهاب في مهمة سرية ، وإكتشاف نقاط ضعف العدو ، كونه قد خدم فترة في الجيش العراقي السابق في هذهِ المناطق .

- الطرق غير سالكة يا حمزة ،
وقد تعرض نفسك للخطر !

- أرجوك إسمح لي بأن أقوم بهذهِ المهمة ،
وأعدك بأني سأعود عن قريب سالماً .

- لك هذآ ..
إذهب وعين الله تحرِسك .

يخرج حمزة ليلاً متجهاً تماماً إلى سنجار وبالتحديد قريباً من شجرة اللوز ، ليقرر من هناك الدخول إلى قرية تل البنات ، للبحث عن نادية ، كانت الطريق فعلاً غير سالكة ، وجنود داعش يملؤون الطرقات ، إلا أنه تمكن من إختراق الكثير من الطرق المؤدية إلى سنجار .

...

يدخل المنزل سوزدار وهو يلهث ، ويطلب من نادية وشاريا أن يرافقانه بهدوء حذر ، تلحفوا الليل وجثوا على الأرض وتخطوا بعض الجنود ، حتى وصلوا إلى تله رملية خلفها سيارة جيب ، وقد تمكنوا بهدوء من الركوب

اليها ، وقد قادها سوزدار بعد أن شغل محركها بطريقة إستخدام الأسلاك ، وبعد تحرك السيارة السريع ، إلتفت الدواعش إلى ذلك ولاحقوه بثلاث سيارات جيب ، كان يقود السيارة بسرعة .

يصعد الجبال تارةً وتارةً ينزل منها ، وكانت الرصاصات خلفهم كثيرة وقريبة ، وقد طلب سوزدار من نادية وشاريا أن يطئطوا برؤسهم ، خوف أن تصيبهم رصاصات الدواعش التي تأتي من الخلف ..

وما هي إلا لحظات حتى تمكن من التخفي عن السيارات الداعشية ، إلا أن السيارة توقفت على الطريق الترابي ، وقد وضع سوزدار رأسه على المقود .

رفعت نادية رأسها ، المكان هادئ ولا دواعش خلفهم .

- سوزدار .. سوزدار . !!

كان سوزدار قد تلقى رصاصة من خلف رأسه أردته قتيلاً ، وضعت رأسه في حجرها وضجت بالبكاء ، هي وإبنتها شاريا . التي وضعت رأسها على رأسه باكية وتنادي أبي أبي .. كلمني يا أبي .

- كفى يا شاريا ..

هذآ ليس وقت البكاء ،

تصبري ..

علينا أن ندفن أبيك ومن ثم نجد منفذاً للهرب .

تنزِلهُ نادية من السيارة وتحفر له قبراً تدفنه فيه .

- **أمي إلى أين سنذهب الآن ؟**

تحاول نادية تشغيل السيارة لكنها تكتشف انها نضُبت من البنزين ، فتسير مع إبنتها بهدوء ، تلتفت يميناً ويساراً ، المكانات موحشة ، مظلمة ، وما أن تسير أمتاراً حتى تجد على الطريق جثة متفسخة ، أو عظام آدمي .

لا نص صريح على أن الله الذي وهب (حق الحياة) وهب حق إنتزاعها ، إلا بالحق .. والحق الإلهي يستدعي الكثير من الأدلة التي ما إن تدخل في دائرة التحقيق العادل ، حتى تكون صعبة الإثبات

وإن ثبتت .. !! يحبو حولها سؤال الدواعي .. مع حق العفو عند المقدرة لولي الحق .

تبيت نادية وشاريا خلف صخرة جبلية كبيرة ، وتطلب نادية من شاريا أن تنام لترتاح قليلاً .

- **أمي هل سننجو من هؤلاء الغرباء .**
- **تأملي خيراً .. يا إبنتي ،**

سيحمينا طاووس ملِك من كلِ شر .

- **أنا عطشانة جِداً وقد أرهقتني العطش ، بُل ريقي ،**

ألا يوجد ماء قريب من هنا ؟

- **تصبري حتى الصباح ..**

عسى أن نُرزق بماء ،

تصبري من أجلي أنا يا حبيبتي .

الوطن الحقيقي
هو الذي يحتوي شعبه
بكل إختلافاتهم ..
وأعراقهم .. وإعتقاداتهم .. ومذاهبهم
وبعد ذلِك .. يمكن أن نسميه وطن .!!

في اليوم التالي لم تستطيع نادية وشاريا المسير نهاراً ، وأجلتا ذلك للمساء ، بعد أن كانت هناك سيارات داعشية تجوب الطرق ، إلا أن العطش قد أضعف شاريا وأرهقها كثيراً ، ومع المساء تسير نادية حتى تصل شجرة اللوز ، تنظر لها بحسرة ، فتطلب شاريا منها التوقف عن المسير فقد تعبت كثيراً . وكان للعطش دوراً كبيراً في ذلك ، تغفو شاريا في حجر أمها ، وقد غفت عينا نادية أيضاً.

...

ما إجتمع عليه أولي الحل والعقد من الإنسانيين ،
كالعوامل الحركية .. والمشاعرية والتنظيمية
يكون أقرب إلى الصحة ،
مما إجتمعت عليهِ مجموعة الدينيين ..
على نحو التفرُد ...

يصِل حمزة وقد باتت شجرة اللوز على القرب منه .. فقرر التوقف ليرتاح قبل أن يصل بقليل .. كلم نفسه ...

-   أين أنت الآن يا نادية ..؟

أيعقل أن نلتقي مرة أخرى !

بعد كل هذهِ السنين الطويلة ،

لا يهمني الآن شيء سِوى أن تكوني بخير .

يا حبيبتي . آآه ،

أيعقل أن تكوني الآن سببه بيدِ هذهِ الثلة المنحرفة الساقِطة ؟

عليَ أن أصل الى شجرة اللوز وأبيت هناك ،

ومن ثم أدخل متخفياً إلى قرية تل البنات ،

بحثاً عن نادية ..

...

كانت الطائرات العراقية تغطي الأجواء ، ويبدو أن هناك رتل عسكري داعشي قريب ، وهي تراقبه .. تصحوان نادية وشاريا خائفتان قلقتان ، من إقتراب صوت سيارات الرتل العسكري ..

-   شاريا ..

شاريا حبيبتي ،

علينا أن نغادر هذآ المكان .

سيارات الدواعش قريبة من هنا .

**-	أمي .. أنا خائِفة جداً .**
أخاف أن أفقدك كما فقدنا أخي حمزة .
**-	لا تخافي ..**
لن أسمح لأحد بأن يأخذك مني .
تسيران نادية وشاريا ، وما أن تحركتا حتى بدأ القصف الجوي من قبل الطائرات العراقية .. ليسقط أحد الصواريخ بالقرب منهن ، ما أدى إلى فقدان نادية الوعي .. لقد كان لتناثر التراب وقوة صوت الإنفجارات الأثر على ذعر شاريا التي ركضت إلى أين لا تدري .!
تصحو نادية من غيبوبتها مذعورة . صارت تركض في كل الإتجاهات وتصرخ .. شاريا ... شاريا ... شاريا . صرخت وبكت حتى ثملت وسقطت مغمىً عليها من شدة الصدمة ..!!
كان الليل أجوف .. بغيض .. يستل أحلامها وحياتها .
وكان للطيف أثراً على غيابها ، فكانت تحلق في السماء . تقف على أسطح الغيوم .. تنظر إلى القادم من هناك .. كانت ترى حمزة الحبيب .
الفرح الذي لم يفارق محياها .
كانت تنتظر أن يقترِب منها أكثر .
وأن يعجِل في اللقاء ..

في نفس الوقت الذي كانت تتساقط فيهِ دموع حمزة على وجنتيها وهي في حجرِه ..
حتى صحت ..
فتحت عينيها ..
إبتسمت وقالت له :
- حمزة ..
ألم أقل لك أننا إن لم نلتق في الدنيا ..
سنلتقي بعد الموت !!
حبيبي حمزة .... لقد إشتقت لك .
وأنتظرت هذا اللقاء من أمدٍ طويل .
أخبرني .. حبيبي ؟
أين طفلاي حمزة وشاريا !! ؟

تمت

...

ختاماً

لا يبقى بالذاكرة .. إلا ما يستحق الذكر ..
ولا يمكث في العقل الباطن .. إلا ما ينفع الناس
الدين دعوة .. لا ثورة .. إستنارة .. لا إنقلاب ..
ما قام حكم إلا بتغيير الناس ومسخ الأنفس
الله يريد تقوى القلوب لا تقوى الألسن ونفاق الكلمات
لم يرد الله لنبيهِ أن يكون جبارا فوصفه بخلقٍ عظيم ..
حين تعددت الكتب المقدسة تناقصت الأنفس المحترمة !!

...

هذآ الكِتاب

تنهض نادية من أكثر من كبوة ، وهي فتاة آيزيدية من قرية تل البنات . تغامر بأن تعشق جندياً عربياً مسلِم ، يمحنها حبهُ وصدقهُ تساؤلات عِدة عن سبب إنزواءِ أبناء طائفتها عن الغرباء .. وهل كل الغرباء يستحقون أن ننزوي عنهم .!
وهل من الممكن أن يكون الغريب أقرب إلى القلب وأكثر تضحية ؟ كيف وإن كانت تضحيته بالنفس ،
و (التضحية بالنفس أقصى غاية الجود) .
تتداخل مصائر الشخصيات وتنتقِل من حينٍ إلى آخر ، من الحرب العراقية الإيرانية إلى دخول تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام " داعش " .
إلى مدينة سِنجار المكان الرئيسي لسكن أبناء الطائفة الآيزيدية ..
وهناك يؤجل مصير الطفل حمزة إلى رواية أخرى ..
الجزء الثاني رواية (حمزة الصغير) .
كما أن مصير شاريا يؤجل إلى رواية ثالثة .
الجزء الثالث رواية (شاريا)
نادية تخسر زوجها سوزدار وطفلتها شاريا في طريق الهروب من قبضة التنظيم ..
إلا أنها تلتقي بالحبيب الأول حمزة عند شجرة اللوز ..

...

سيرة ذاتية

كاتب ومفكر وسيناريست وروائي عراقي .

وِلد في دولة الكويت في 25 مارس 1975 . وإنتقل منها للعراق . ثم للأردن حتى إستقر بهِ الحال في مدينة البصرة في أقصى الجنوب العراقي .

كتب فيلمي السينما القصيرين (المخاض) (وفرضة وشعيرة) الحائزتين على مراكز متقدِمة في مهرجان كام الدولي عامي 2012 – 2014 في القاهرة . صدر له ديوان شعر ورواية (اللامنتمي : البصرة عام 2030) ومجموعة قصصية (ساموراي عربي) و (ضحية قلم رصاص) قصة في كتاب مجمع مع نجوم الإبداع العربي للقلم الحر .. وسيصدر له قريباً مجموعة من الكتب الفكرية والروايات والمجاميع القصصية ، أهمها (النبي عبد العال) (منكر ومنير) (موسوعة إنسان الله) (موسوعة دجلة والعراة) (بيكيديا الشيطان) ، وأصدارات متنوعة أخرى ...

عبدالله الشريفي

محتوى الكتاب

بطاقة الكتاب 2

الجزء الأول شجرة اللوز 3

ديباجة 4

تمهيد 5

إليكم 7

إشارة 8

كوتة 10

بدءا 11

ختاما 157

هذا الكتاب 158

سيرة ذاتية 159

محتوى الكتاب 160